ابراهيم باشا

رسول الوحدة العربية

مطبوعات مكتبة مصر

ابراهيم باشا

مسرحية في ثلاثة فصول

ومسرحيتان أخريان

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

مكان الرواية : مصر وسوريا والأناضول

زمان الرواية : أوائل القرن التاسع عشر

أشخاص المسرحية

إبراهيم باشا	بطل المسرحيّة
بشير الشهابى	أمير جبل لبنان
الكولونيل سيف	سليمان باشا الفرنساوى
سرحان	فارس نجدىّ جعله إبراهيم باشا فى حرسه الخاص
صابر	جاسوس متملق من جواسيس الدولة
نعمان	قتل أبوه بأمر إبراهيم باشا لمناصرته لعبد الله باشا والى عكاء
ثامر	أخو نعمان
زيد وخالد	ابنا عم نعمان .
الأمير عباس باشا	ابن أخى إبراهيم باشا
أحمد بك المنيكلى	من قوّاد إبراهيم باشا

رشيد باشا	الصدر الأعظم قائد جيوش السلطان
مصطفى بربر	من زعماء الشام
الطبيب	طبيب إبراهيم باشا الخاص ومساعداه

جماعة من أبناء عمومة نعمان

ضباط وجنود مصريون وحجاب

فتى سورى متظلم من أحد الجند

الفصل الأول

فى قصر إبراهيم باشا بالجيزة — فى قاعة الاستقبال — قاعة كبيرة مستديرة على جدرانها نقوش فنية وكلها مفروش بالسجاد الثمين — تمتد على جوانبها أرائك مفروشة بالمخمل الأخضر وفوقها وسائد مبطنة بالحرير . للقاعة بابان أحدهما من جهة اليمين وهو الباب الذى يدخل منه الضيوف من الخارج والآخر على يسار المسرح وهو يصل القاعة بسائر القصر .

يرى إبراهيم باشا جالساً على الأريكة فى صدر المسرح وهو يدخن الشيشة وينفث دخانه فى هدوء وينظر إليه وهو يتصاعد فى الهواء نظرة الحالم . ويبدو مدة كأنه مستغرق فى فكر عميق .

إبراهيم : (**كأنه يحدث نفسه**) أترى الأيام تحقق هذا الحلم الجميل ؟ مصر وفلسطين والشام والرافدان ونجد والحرمان الشريفان والمغرب من أدناه إلى أقصاه والسودان وأرض اليمن . شعب واحد ينطق بلسان واحد ويسير إلى هدف واحد . أبشرى .. أبشرى يا مصر ، ستكونين فخر الشرق وحاضرة الأمم العربية . إن الوطن العربى الأكبر يتّاءب اليوم كىّ يستيقظ من نومه الكهفىّ الطويل . أتراه يقوم على ساعدى فينزلنى التاريخ مكاناً ما ناله قبلى هارون الرشيد ؟

(يدخل الحاجب ويقف دون الباب منحنياً)

إبراهيم : (**يلتفت إليه**) ما وراءك .. هل قدم الضيف ؟

الحاجب : نعم يا مولاى.

إبراهيم : أئذن له بالدخول .

الحاجب : سمعاً يا مولاى.(يخرج)

(يضع إبراهيم شيشته وينهض من أريكته حتى يقف قرب الباب)

(يدخل الأمير بشير الشهابى أمير لبنان)

بشير : السلام على مولاى الباشا.

إبراهيم : (**يصافحه بحرارة**) وعليك السلام ورحمة الله .. مرحباً بالصديق العزيز . تفضل .

(يأخذ بيده حتى يجلسه على الأريكة بجانبه)

بشير : شكرا يا مولاى الأمير . كيف حالك وكيف حال مولانا الوالى — أيده الله .

إبراهيم : بخير ولله الحمد . وكيف أنت يا أمير الجبل ؟

بشير : لا أحسب حالى يسرك يا مولاى فلم يزل حال المعزول الطريد كما عهدتنى مصر منذ تسع سنين .

إبراهيم : أمّا أنك كنت معزولا فهذا حق ولكنى أشك أنك كنت طريدا فى وادى النيل الذى كان سعيدا بإيواء مثلك .

بشير : صدقت يا سيدى . ما كنت طريدا بمصر فقد كادت تنسينى بلدى مما بالغت فى إكرامى والحفاوة بى . إنى عاجز عن شكر أيادى أبيك العظيم وأياديك .

إبراهيم : لم نفعل سوى ما أنت أهل له يا أمير الجبل .

بشير : والله لقد ضمّدتم جراحى إذ ذاك وأشعرتمونى أنّ لنا أبناء

العرب بمصر ملاذا من الجور الأعجميّ .

إبراهيم : لا تنس أننا كلنا فى معاناة هذا الجور سواء .

بشير : بل مصر أسوأ حالا منا لقوتها بالقياس إلى ضعفنا .. أو ليس عجبا أن تبقى مصر تابعة للقوم ولا نخشى دولة القوم إلّا بقوة مصر ؟ قد يهون القيد على المستضعف أما القوىّ فلا .

إبراهيم : (**يطرق هنيهة ثم يرفع رأسه**) إى والله يا صديقى ما عدوت الحق

بشير : ليت شعرى متى تتخلص أقطارنا من هذا النّير الثقيل ؟ (يتنهد) ويلهم .. نفونى من أرض آبائى .

إبراهيم : أما زلت تذكر هذا النفى وقد رجعت إلى بلادك ؟

بشير : هل رجعت إلى بلادى إلا بشفاعة أبيك حفظه الله ؟ وهل أقمت بها إلا ذليلا منذ ذلك اليوم ؟

إبراهيم : لن يطول مقامك فيها على ذل طاعتهم حتى نستنقذها منهم ونشردهم عن حدود بلاد العرب . إن مصر والشام لصنوان يكمل أحدهما الآخر منذ عهود الفراعنة السابقين لا يستغنى واحد منهما عن أخيه .

بشير : ليت هذين البلدين يتحدان تحت ظلكم .

إبراهيم : بل أذهب إلى أبعد من ذلك يا صديقى . إن هذه الشعوب التى تتكلم بالعربية من أقصى السودان إلى طوروس ومن بحر الظلمات إلى البحر العربى وشط العراق لمن حقها أن لا تبقى هكذا متناكرة تحت هذا الحكم البغيض . لا بد لها من يوم تعرف فيه سؤددها المسلوب وتجمع فيه الأمر فويل يومئذ

للطغاة المستعبدين .

بشير : ما أعلى همتك يا سيدى وأبعد مرماك .

إبراهيم : إنّا لن نغلب من قلة أبداً . فنحن اليوم لا ننقص عن أمة النمسا أو شعب فرنسا أو الأمة الإنجليزية . ولدينا من تاريخنا القوميّ ومن روح الإسلام ومثله العليا ما يجعلنا قوة لا تقوم لها قوة فى الأرض .

بشير : ليتكم ما قضيتم على الوهابيّين بنجد ، إذن لعسوا أن يكونوا عونا لكم فى هذا الأمر . فقد كانوا شوكة أخرى فى جنب السلطان فانتقشها بكم . سلّطكم عليهم ليقضى عليهم ثم عليكم .

إبراهيم : إن ما قلته لصحيح ولكنا كنا فى ظروف قاهرة حملتنا على إرضاء السلطان من جهة وعلى تحقيق سلامة مصر من جهة أخرى . وأنا المتحسر بعد على ما حل بهم منى .

بشير : أو يا ليتكم إذ قضيتم عليهم عفوتم عن أميرهم عبد الله بن سعود فما كان جديرا أن يساق إلى القوم ليصلبوه ويمثّلوا به .

إبراهيم : كنا نظن القوم أكرم من أن ينالو من خصم قد دان لهم وأتاهم ضيفا عليهم ، وما دار بخلدنا أنهم يرفضون شفاعتنا فى ذاك الأمير الشهم . ولكن ليس هذا بأول رجاء خاب لنا فى هذا السلطان . والله لضاعف مقتل عبد الله كراهيتى لهم . والله لأنتقمنّ له منهم .

بشير : نعم الأخ ينتقم لأخيه .

إبراهيم : أجل كان عبد الله عزيزا علىّ . ولو رأيتنا وقد تصافحنا بعد

القتال وتصافينا بعد العداء لرأيت عجبا . كان — رحمه الله — يزورنى ويسمر عندى فى المخيم فنحتسى القهوة العربية معا ونتذاكر فى شئون البلاد العربية وتوحيدها فيشتعل حماسة ويحرضنى على الثورة والاستقلال ويدعو لى بالنجاح . وما أنس من الأشياء لا أنس قوله لى (**إنا لم نألك يا إبراهيم قتالا . ولكن لعلّ الله اختارك لتقوم بهذا الأمر**) .

بشير : كيف وجدت يا سيدى أبناء نجد ؟

إبراهيم : لم أر فى حياتى أشجع ولا أكلب على القتال منهم ، وإن نساءهم ليقاتلن معهم ويحرضن الرجال فيستميتون فى القتال . وما شهدت امرأة أشجع ولا أعقل من غالية الوهابية . وإن ابنها اليوم لعندى .

بشير : ابنها هنا فى مصر ؟

إبراهيم : نعم ، بعثته أمه إلىّ من نجد ليقاتل معى لما بلغها عزمى على غزو الشام .

بشير : ما سمعت حديثاً أعجب من هذا .

إبراهيم : أتحب أن تراه ؟

بشير : لو تكرمتم يا سيدى .

(إبراهيم يدق جرساً عنده) (يدخل الحاجب) .

الحاجب : مولاى .

إبراهيم : ابعث من يدعو لى سرحان النجدى .

الحاجب : سمعا يا مولاى (يخرج).

إبراهيم : إنه شاب شجاع سيعجبك ، وقد بلوته فوجدته ممن يوثق به .

بشير : ولكن كيف بلغ أم هذا الشاب عزمك على غزو الشام ؟

إبراهيم : لهذا حديث طريف يا بشير . جاءتني غالية يوماً بابنها هذا وهو غلام أثناء مقامي بنجد فقالت لي « هذا ابني الوحيد قد وهبته لك ليجاهد معك في سبيل العرب » فشكرتها وقلت لها أبقيه لديك حتى يشتد ساعده . فما زال هذا الغلام يكاتبني من يومئذ حتى استقدمته فقدم من نجد .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : بالباب حضرة الكولونل سيف يا مولاي .

إبراهيم : ليدخل فإنا في انتظاره (**يخرج الحاجب**) قد بعثت إليه ليراك يا أمير الجبل .

(**يدخل الكولونل سيف**)

سيف : السلام عليكم .

إبراهيم : وعليك السلام . أهلا بصديقي سليمان .

سيف : لعلي جئت في الوقت المطلوب يا مولاي .

إبراهيم : لا شك فأنت ممن يحافظون على مواعيدهم بالدقيقة (**للأمير بشير**) أيسرك يا صديقي أن تعرف قائدنا الفرنسي المسلم ؟

بشير : الكولونل سيف يا سيدي ؟

إبراهيم : نعم .. أتعرفه ؟

بشير : قد سمعت به . وبخبرته الحربية .

إبراهيم : الأمير بشير الشهابي أمير جبل لبنان يا كولونل .

سيف : (**يصافح بشيراً**) أهلا .. تشرفت يا أميري .

(يجلس سيف إلى جانب بشير)

إبراهيم : سيكون الكولونل سيف عوناً لنا على فتح سوريا إن شاء الله . أليس كذلك يا سيف ؟

سيف : أنا طوع يمينك يا مولاى .

بشير : سيف ماض فى خير يمين !

إبراهيم : إنه يا بشير ليؤمن كل الإيمان بالوحدة العربية .

بشير : أتراها ممكنة يا جناب القائد ميسورة ؟

سيف : هى يا سيدى حركة طبيعية لا يعوزها إلا حسن التدبير وصدق العزم لتبرز من عالم التفكير إلى عالم الواقع . مازلت بها مؤمناً مذ سمعت النسر الفرنسى نابليون يقول بها .

بشير : عجباً .. هل كان نابليون يقول بالوحدة العربية ؟

سيف : نعم لقد رأى نابليون ببصيرته النافذة أن هذه الدولة لا بد من شطرها شطرين وأن بلاد الضاد لأحرى أن يستقلّ بها ملك عربى . وأن محمد على باشا هو أولى الناس بهذا الأمر . سمعته يقول هذا بأذنىّ هاتين .

(يدخل سرحان)

سيف : (يلتفت إليه) وهذا الفتى النجدىّ دليل حىّ على إمكان وحدة العرب .

سرحان : السلام عليكم ورحمة الله .

سيف : وعليكم السلام ورحمة الله .

سرحان : هل دعوتنى يا مولاى ؟

إبراهيم : نعم يا سرحان ، دعوناك لترى ضيفنا العزيز أمير جبل لبنان .

سرحان : (**يصافح إبراهيم باشا فالأمير بشير فسيف**) (**للأمير بشير**) أهلا بك يا سيدى .

بشير : مرحبا بك يا بنىّ . هنيئاً لك إعجاب سيدى الباشا بك وثقته فيك .

سرحان : شكراً لك يا سيدى ، إنى لفخور بثقة مولاى إبراهيم.

إبراهيم : تفضل يا سرحان اجلس .

سرحان : (**يجلس**) شكراً يا مولاى .

إبراهيم : أين كنت يا سرحان ؟

سرحان : كنت فى تدريب الجيش يا مولاى .

إبراهيم : (**لسيف**) أأنت راض عن سرحان يا سيف ؟

سيف : كل الرّضى يا مولاى ، لكأنه يتعلّم الفنون العسكرية بالغريزة وهو اليوم أمهر رام وأكبر فارس .

إبراهيم : لا غرو فقد ارتضع الشجاعة والفروسية من أمه البطلة، (**يلتفت إلى سيف**) كيف سارت شئون التدريب يا سيف ؟

سيف : سيراً حسنا يا مولاى .

إبراهيم : كيف ترى الجندىّ المصرىّ يا سيف ؟ هل ينقص فى شىء عن الجندىّ الأوربىّ .

سيف : كلا يا مولاى بل هو أصلب عودا وأصبر منه وأطوع .

إبراهيم : أوَ ما تلقى عنتا فى التّدريب الحديث ؟

سيف : كلّ مستحدث صعب ، لكن كلّ صعب يا مولاى على الأيّام يهون .

إبراهيم : أتصدق ما قيل إنّ وداعة سكان الوادى لا تهيئهم للحرب ؟

سيف : لا يا مولاى فما هو إلا بهتان وزور . أوَ لم يطرد أحمس الهكسوس بهم ؟ أوَ لم يستولوا على الشام حتى أعالى الفرات ؟ أو لم يدفعوا هجمات التتار عن الشرق العربىّ ؟ أوَ لم يقفوا سدا فى وجوه الصليبيّين ؟ إنما فقدوا الروح الحربيّة واستخذوا منذ خضعت مصر لملوك آل عثمان .

إبراهيم : ليت شعرى متى نستغنى بأبناء مصر عن عصابات الأكراد وفرق الأرنؤوط ؟

سيف : سترى قريبا منهم ما يسرّك يا مولاى .

إبراهيم : أوَ لست ترى أنّ الترك أشجع فى المعمعان وأمضى على الأهوال ؟

سيف : إن الجندىّ المصرىّ لشجاع ، ولكنه ليس بالعتلّ الذى يستمدّ شجاعته من غلظته وبلادة حسّه . وقد أعلنت حملته البحرية إلى اليونان كفايته وكفاية أسطوله للعالم أجمع .

بشير : لقد كان الغرم على مصر تلك الحملة اليونانية وكان الغنم للسلطان كدأبه . فلو كنتم رفضتم أن تعينوه فى الحرب اليونانية وغزوتم سوريا إذ ذاك استنجازا لسابق وعده لكان ذلك خيراً لمصر وللعرب .

إبراهيم : ولكن لا تنس يا أمير الجبل أن الشهامة الإسلامية تأبى علينا أن يستنجدنا السلطان على العدوّ المشترك فلا ننجده — بله أن نغتنم الفرصة فنطعنه من الخلف .

بشير : صدقت يا أمير النيل ولكنه لم يف بوعده لكم . ولا يستحق

النصرة من لا يوفى بالعهود .

إبراهيم : أجل ، بيد أنه وعدنا حينئذ مرة ثانية بضم الشام إلينا إذا نصرناه على اليونان ولم نكن قد يئسنا إذ ذاك من وفائه بالوعد .

بشير : واليوم ؟

إبراهيم : أما اليوم فليس بيننا وبينه إلا القتال حتى يفى لنا بما وعد .

سيف : هل لى أن أقول كلمة بصدد الحملة اليونانية ؟

إبراهيم : قل ما تشاء يا كولونيل .

سيف : أريد أن أقول إن مصر وإن خسرت فى تلك الحملة ماديا فإنها لم تخسر أدبيا بل أستطيع أن أقول إنها ربحت .

إبراهيم : نعم قد أفدنا منها أن عرف الأشهاد بطولة جيشنا ورأوا بأسه فى تلك الميادين .

سيف : وكان النصر معقودا بلواء المصريين لو لم تقف دول الغرب فى صف اليونان .

إبراهيم : (يتنهد) ويل للدول الغربية . ما أحلى وعودها لنا وما ألهجها بصداقتنا ما احتاجت إلينا حتى إذا اشتبكنا مع إحداها تألب سائرها علينا ونبذت ما بيننا وبينها من الصداقة وراء ظهرها .

بشير : أما زلتم ترجون يا سيدى أن يفى السلطان لكم بوعده ؟

إبراهيم : لا أرجو ذلك فقد طالما نصحناه وهددناه فلم ينفع فيه النصح ولا التهديد .

بشير : إذن فماذا تنتظرون ؟

إبراهيم : لا ننتظر شيئا إلّا إعداد جيشنا واستكمال عدده وقد فرغنا من ذلك أوكدنا وما استقدمناك من بلادك إلّا لنرى رأيك في هذا الأمر .

بشير : أما من جهتي فما أظنكم تشكون أنني سأنصركم بكل ما أملك من حول وقوة . إني أعدك يا سيدى وعدا جازما بأن الجبل كله سيكون معكم على عدوكم .

إبراهيم : شكراً لك يا بشير . لا شك عندنا فى نصرتك ولكنا نريد نصرة الآخرين .

بشير : إنك تعلم يا سيدى أن الشام كله يئن من ظلم الدولة وجور ولاتها وأن مجيئكم فرج لهم فلا ريب أنهم سيكونون عونا لكم على حكامهم الظالمين .

إبراهيم : ما رأيك فى قبائل بادية الشام ؟

بشير : هؤلاء خير من يستنصر بهم على الدولة لقسوتها فى معاملتهم فلن يكادوا يسمعون بمقدمكم لمحاربتها حتى يعرضوا أنفسهم للقتال معكم وناهيك بشجاعتهم وبلائهم فى الحرب .

إبراهيم : اذكر لى بعض القبائل الثائرة على الدولة هناك .

بشير : جميع قبائل البادية فى حكم الثائرة على الدولة إلّا أن بعضها أشد عليها من بعض .

إبراهيم : أيها أقوى وأشد شكيمة على الدولة ؟

بشير : لعلها قبيلة عنزة .

إبراهيم : أهى التى يدعى شيخها الشيخ عزّام الفائز ؟

بشير : هى بعينها يا سيدى . لكأنك تعرفها وتعرف شيخها .

إبراهيم : نعم جاءنا كتاب من هذا الشيخ يعرض علينا فيه نصرته ونصرة قبيلته .

بشير : ثق بهؤلاء فإنهم موتورون من الدولة حاقدون عليها منذ حصل بينهم وبينها خلاف فانتقمت منهم ومثّلت بهم تمثيلا فظيعا كاستلال ألسنتهم وجدع أنوفهم . فإذا أعطى لهؤلاء السلاح والذخائر فسيكونون وبالا على جيوش الدولة .

إبراهيم : ما رأيك فى هؤلاء يا سيف ؟

سيف : لا شك أن هؤلاء سيكونون عونا كبيرا لنا ففى وسعهم أن يقوموا بمناوشات قيمة ويوقعوا الاختلال فى صفوف العدوّ ويتعرضوا للقوافل التى تحمل مؤنه وذخائره .

إبراهيم : أجل .. لا غنى لنا عن هؤلاء .

سيف : ولكن مسألة المسائل هى عكاء .

إبراهيم : إن الكولونل سيف كثير الاهتمام بعكاء يا بشير .

سيف : أعذرنى يا مولاى إذا أكثرت الاهتمام بها فهى العقبة الكبرى التى ستقوم فى سبيلنا فإذا ذللناها دان لنا الشام أجمع .

بشير : حقا إنها لمدينة منيعة وإن صاحبها ليحتمى منها بجبهة الأسد، فحبذا لو استطعتم الاتفاق معه .

سيف : يا ليت ذلك يكون . إذاً لكفينا هذه العقبة وكان ما وراء ذلك يسيرا علينا .

إبراهيم : لعلك تستطيع استمالته إلينا لما بينك وبينه من الصداقة القديمة يا بشير أما نحن فقد ذهبت جهودنا فى استمالته سدى . وناهيك بالمساعدة التى قدّمها له سيدى الوالد حين شفع له

عند السلطان لما غضب عليه وأقرضه والدى تلك الغرامة الكبيرة التى فرضها عليه السلطان ... ولكن عبد الله كفر النعمة وأنكر الجميل .

بشير : ألم يسدّد القرض الذى عليه يا سيدى إلى اليوم ؟

إبراهيم : كلا لم يسدده ولن يسدده . ومما زاد غضب والدى عليه أنه رفض ما طلبه منه من إعادة الفلاحين المصريين الذين جمعهم من الصعيد للعمل عنده فهدده والدى بأنه سيذهب بنفسه لأخذ الستة آلاف من الفلاحين زائداً عليهم رجل واحد .

بشير : (**يضحك**) يعنى بالرجل الواحد عبد الله باشا نفسه ؟

إبراهيم : (**يبتسم**) نعم لا يعنى غيره .

بشير : ما رأيكم لو كلمت عبد الله باشا فى الاتفاق معكم على أن تسامحوه فى القرض الذى لكم عليه وفى الفلاحين المهاجرين عنده وتضمنوا له البقاء فى ولاية عكاء ؟

إبراهيم : أما القرض فلا أحسب سيدى الوالد يتشدد فيه تشدده فى إعادة الفلاحين المهاجرين وسآخذ رأيه فى ذلك ، وأما ضمان البقاء له فى ولاية عكاء فقد عرضنا عليه ذلك من قبل فأبى .

بشير : سأعرج عليه فى طريقى عائداً إلى لبنان وأكلمه فى جميع ذلك وأكتب إليكم بما يكوّن منه .

إبراهيم : افعل وإن كنت لا أظن أن والى عكاء يرجع إلى صوابه إلا بالشدة .

بشير : إذا لم يرجع إلى صوابه الآن فسيرجع إلى ذلك حين يرى قواتكم تسير إليه .

سيف : إنه سيكلفنا ضرب الحصار عليه من البر والبحر وبدون ذلك لا يمكن سقوط عكاء وهذا يقتضى زمناً طويلا .

إبراهيم : إن العزيمة الصادقة لتقصر الزمن الطويل .

سيف : لقد عودنا عزمك يا مولاى أن يذلل لنا المصاعب .

إبراهيم : على الله اتكالنا وهو ناصرنا بحوله وقوته إن شاء .

بشير : أؤكد لك مرة أخرى يا سيدى الباشا أن الشام كله سيكون معكم ، وإنى سأقوم لكم بكل ما أستطيع من الواجب ، وعسى أن يقدرنى الله على خدمتكم بما يرضيكم .

إبراهيم : ذلك الظن بك يا صديقنا العزيز .

سيف : قد عنت لى فكرة يا مولاى هى أن تبعثوا هذا الشاب الجندى ليرافق الأمير بشير إلى سوريا ولبنان فيستأنس بطبيعة تلك البلاد ويعرف مواقعها فربما نحتاج إلى خبرته بذلك فى المستقبل .

إبراهيم : لا بأس بذلك عندى إذا لم يثقل على الأمير بشير .

بشير : يثقل علىَّ ؟ كلا يا سيدى الباشا . إنه سيكون لى نعم الرفيق فى السفر ونعم الضيف .

إبراهيم : أتحب يا سرحان أن ترى قبلنا تلك البلاد ؟

سيف : كيف لا يسر سرحان بذلك ؟ إنها ستكون سياحة ممتعة فى تلك البلاد الجميلة .

إبراهيم : إذاً فليذهب سرحان معك يا أمير الجبل . ولست بحاجة إلى أن أوصيك به فهو عزيز علىَّ .

بشير : اطمئن من قبله يا سيدى فسيرى منى كل بر ورعاية .

إبراهيم : (**يلتفت إلى سرحان باسماً**) احذر يا سرحان أن تنسيك بلاد الشام مصر .

سرحان : إن مصر لم تنسني نجداً يا مولاى فلن ينسيني الشام مصر .

(**يدخل الحاجب فيدنو من إبراهيم باشا فيساره بحديث**)

إبراهيم : (**للحاجب**) دعه يدخل . (**ينطلق الحاجب**) (**ثم لبشير**) سترى جاسوساً من جواسيس الدولة وهم فينا كرجال النفاق بعهد الرسول عليه السلام ، يشون بنا ويذيعون أسرارنا للقوم وليس لنا من سبيل لتأديبهم . أوه من هذا النير أوه ! متى نرميه متى نلقيه ؟

بشير : قريبا نخلعه عن أعناقنا بيدك .

إبراهيم : إن شاء الله .

سيف : إن شاء الله .

(**يدخل صابر بك ويحيى إبراهيم منحنياً حتى يكاد يقبل الأرض**)

صابر : سيدى .. مولاى .. أميرى .. صباح الخير .

إبراهيم : مرحباً بك يا صابر . تفضل .

صابر : (**يجلس بين إبراهيم باشا وبين سرحان**) شكــراً لك يا مولاى للطفك يا مولاى بعبدك يا مولاى .. بموطئ نعلك يا مولاى . لقد حضر العبد المملوك إليكم يا مولاى ليرفع أسمى تهانئه القلبية إلى أعتاب جنابكم الفخم يا مولاى بمناسبة إنعام مولانا السلطان عليكم بأمارة مكة يا مولاى وأنتم يا مولاى جدير بهذا العطف الشاهانى الأكبر وبهذه

الرتبة التى لم ينلها أىٌّ سواكم فى جميع أنحاء المملكة العثمانية .

إبراهيم : إن هذه التهانىء أولى بها أن توجهها لأبى فهو أولى بها منى إذ له فضلها لا لى .

صابر : لا بل لكم يا مولاى لما وضع مولانا السلطان من الثقة العظمى فيكم يا مولاى ، ولما لاح له من بطولتكم العليا وكفايتكم الكبرى فى كل الشئون التى نيطت بكم ، فضلا عن ماضى عزمكم يا مولاى وكامل إخلاصكم لمولانا السلطان .

إبراهيم : حسبك يا صابر . إن هذه الرتبة أو غيرها مما هو أعظم منها إذا أسندت لى فقد أسنِدت لأبى .. إنى لا أملك فضلا إلا ما تحدر منه إلىَّ ، وإذا ظن بعض الناس أن هذا يثير التنافس بين الولد البر وبين أبيه العظيم فقد ضلوا والله ضلالا بعيداً .

صابر : عفا الله عنكم يا مولاى فيما أسأتم بى الظن .

إبراهيم : قد علمت أنك نقّالُ الأحاديث فانقل حديثنا هذا إلى من تشاء .

صابر : إنما جئت للتهنئة يا مولاى .

إبراهيم : بم تهنئنى ؟ أتظن أن أمارة مكة ترضينى عن سلطانك ؟ لا والله حتى ينصف والدى ويعطيه حقه كاملا غير منقوص شيئاً . وإن لم يفعل فإن السيف الذى سل من أجله فى نجد مازال فى كفى لأبزَّ به سوريا من يده .

صابر : أعيذك بالله أن تعصى السلطان يا مولاى .

إبراهيم : إنى لا أعصى سلطان مصر ، فأما سلطان اسطنبول فإن يعصنا نعصه .

صابر : عفواً يا مولاى إذا قلت إنك شديد الوطأة على قومك .

إبراهيم : (مغضباً) يجب أن تتروى فيما تقول يا صابر ، فما هؤلاء الذين تذكرهم بقومى وإنما قومى العرب . إنى لست تركياً فقد جئت إلى مصر صبياً . حيث مصّرتنى شمس الوادى وأحالت دمى فجرى فى عروقى دماً عربياً .

(ستـــار)

الفصل الثانى

فى ضاحية من ضواحى عكاء — فى قصر اتخذه إبراهيم منزلا له أثناء محاصرته الطويلة لمدينة عكاء يتصل به — مما يلى عكاء — المعسكر المصرى الواقع وراء القصر . يظهر جزء من رواق القصر ويقع على يمينه الجانب الذى فيه غرفة نوم إبراهيم باشا على ارتفاع قليل من أرض الرواق . ويرق إليها بسلم يفضى إلى دهليز صغير يوصل إلى الغرفة ولهذا الدهليز شباك يطل على الرواق . الوقت — فى النصف الأخير من الليل —

يظهر أمام القصر من جهة اليسار ثامر وزيد وثلاثة آخرون من أبناء عمومة ثامر .

ثامر : اخفضوا أصواتكم كيلا يسمعكم أحد .

زيد : لم يجئ نعمان بعد لزيارة صديقه سرحان .

ثامر : أخشى أن يكون أملنا قد ضاع فى نعمان وأن الصداقة التى تظاهر بها لسرحان ليتوصل بها إلى قتل إبراهيم قد أصبحت صداقة حقة تمنعه أن يخون سرحان بقتل مولاه .

زيد : لا شك عندى فى هذا ، فقد نسى نعمان ثأر أبيه وافتتن بهذا النجدى اللعين .

أحد الثلاثة : ما أرى إلا أنكما ظلمتما نعمان ، فما مثله من ينسى ثأر أبيه .

زيد : فما منعه إلى اليوم إذاً من إنجاز مهمته وهو يسمر كل ليلة مع سرحان فى هذا الرواق إلى الهزيع الأخير من الليل على بضع خطى من الغرفة التى ينام فيها إبراهيم باشا ؟

ثامر : ليس ببعيد أن يكون سرحان أقنعه بما يسعى إليه إبراهيم باشا من إحياء الدولة العربية القديمة بضم بلاد العرب كلها تحت لواء واحد ، فلم يجئ هذا النجدىّ من بلاده إلا ليجاهد فى سبيل هذه الفكرة .

أحد الثلاثة : ولكن نعمان كان يعرف هذا من سرحان وهو إنما نجح فى الاتصال بسرحان واكتساب ثقته ومودته حين أوهمه بأنه عربى ثائر على الدولة من طرابلس الغرب . فكيف يجوز أن ينخدع نعمان وهو على بصيرة من حقيقة سرحان ؟ إن هذا لبعيد .

ثامر : إنى أعرف منك بشقيقى نعمان فهو شديد التأثر سريع التقلب .

أحد الثلاثة : ولكنه كان أشدكم جميعاً حزناً على أبيه وحقداً على قاتله وقد أقسم ليقتلن إبراهيم ولو قتل فى ذلك .

زيد : لا تصدقه ولو أقسم ألف يمين فإنما هو جبان يهاب القتل ولو كنت فى مكانه لبدأت بسرحان ثم ثنيت بإبراهيم .

ثامر : أتتهم نعمان بالجبن ؟ والله إنك لأنت الجبّان . فقد أمكنتك الفرصة بوادى الزراعة بعد اندحار الترك إذ انفرد الغازى إبراهيم باشا عن فرسانه فأضعت الفرصة من جبنك .

زيد : لم يكن الغازى منفرداً يومئذ يا ثامر . بل كان سرحان يراقبه من محل غير بعيد وقد ألقى نظرة كالسهم إلىَّ حسبت بها أنه كان يعرف مضمر قصدى . فما كان منى إلا أن حدت عن وجهه كيلا يرتاب بأمرى .

ثامر : ماذا تخشى من ارتيابه بأمرك وقد أوشكت أن تبلغ غايتك ؟

زيد : خشيت أن أفسد عليكم الأمر .

ثامر : فلقد أفسدت علينا الأمر بإضاعتك الفرصة .

زيد : لو كنت فى موضعى لما صنعت أكثر مما صنعت .

ثامر : كذبت ! لو كنت فى موضعك لحملت عليه فألحقته بأبى !

زيد : أتظن الفتك بإبراهيم أمراً هيناً يا ثامر ؟ لقد بلغنى أنه يبلو الناقة الفرعاء بضربة سيف فيشطرها شطرين .

ثامر : ليته والله شطرك !

زيد : ثم سرحان ماذا كنت تصنع فى سرحان ؟

ثامر : إن استطاع سرحان بعد ذلك أن يقتلنى فليقتلنى فقد نجحت فى غرضى .

زيد : أتقول إن استطاع سرحان يا ثامر ؟ أما رأيته فى وادى الزراعة كيف أرى الأتراك نجوم الظهر وجندل أبطالهم وحمل بفرقته على مدفعيتهم وهى تقذف بالنيران تطاير من حوله ؟

ثامر : بلى قد رأيت ذلك ولكنك نسيت أن تذكر أنه لطمك فى وجهك ؟

زيد : لطمنى فى وجهى ؟ من قال لك ذلك ؟

ثامر : (**يضحك مستهزئـا**) انت الـذى قلت لى ذلك يا رجل . اما تستحى أن تجبن وتكذب ؟

زيد : (**يصفر وجهه ويتلعثم**) إن فعل ذلك فلأنه لم يعرفنى فقد ظننى من عامّة الجند .

ثامر : أجل ، ولو عرفك لكنت أهون عليه من ذلك .

زيد : (**يستعيد ثباته**) أتظنوننى أسكت لسرحان على هذه الأهانة ؟ والله ما منعنى أن أنتقم لشرفى منه إذ ذاك إلا خشيتى أن ينكشف أمرنا . والله لئن واجهت هذا النجدىّ يوما لأخضبن سيفى بدمه .

ثامر : كفى هذرا يا زيد . لا تشغلنا بهذرك عمّا جئنا له .

أحد الثلاثة : هذا شخص مقبل إلينا .. أظنه نعمان .

آخر من الثلاثة : لعله شخص آخر قد جاء يتجسس علينا .

ثامر : (**يتأمل فى الشخص القادم**) كلا .. هذا نعمان وهذه مشيته .

أحد الثلاثة : نعم هذا نعمان بعينه .

(**يظهر نعمان**)

نعمان : أنتم هنا ... ما جاء بكم ؟

ثامر : (**بلهجة المغضب**) انظـروا إلى هذا الغـادر يسألنـا ما جاء بنا هنا كأن لنا حاجة أخرى لا يعلمها هو . فاعلم إذاً أننا جئنا لنفصل فى الأمر الذى تسوّفنا فيه من يوم إلى يوم .

نعمان : ماذا تعنى يا ثامر ؟

ثامر : أعنى أننا سنتولى بأنفسنا القيام بالمهمة التى عجزت عنها .

نعمان : من قال لك إنى عجزت عنها ؟

ثامر : سواء عندى أن تسمّى فعلك هذا عجزا أو لا تسمّيه كذلك . يجب أن يقتل الليلة قاتل فهد النعسان وكفى .

نعمان : لا ريب عندى أنكم بتهوركم هذا تريدون أن تفسدوا الخطة التى تعبت فيها .

ثامر : لا خير فى خطة لا تتم إلا بالتسويف .

نعمان : إنك لعلى خطأ فى تسميتك التأنّى اللازم لنجاح الخطة تسويفا .

ثامر : (يتحرق غيظا) التأنى .. قاتل الله هذا التأنى . غدا يستولى هذا الرجل على عكاء فلا يبقى لنا مطمع فى الظفر به .

نعمان : أمهلنى بضعة أيام أخرى حتى يزداد سرحان وثوقا بى فأنجح فى عملى .

ثامر : قد عرفتك يا نعمان . إنك تديرنا عن عملك يوما بعد يوم لتضيع علينا الفرصة . إن هذا النجدى قد سحرك بآرائه فأنساك ثأر أبيك .

نعمان : لا والله ما نسيت ثأر أبى . إنما أتريّث من أجل ثأر أبى .

ثامر : ماذا تنتظر بعد ؟ أتبغى أكثر من أن تبيت على بضع خطوات من مر قد قاتل أبيك ؟ أتنتظره حتى يجئ إليك بخنجره ويقول لك خذ هذا فاذبحنى ؟

نعمان : أمهلنى يومين فقط يا ثامر .

ثامر : (محتداً) كلا والله لئن مرت هذه الليلة المشئومة ولم تقض حاجتنا فيها ليجدنّ فى الدنيا مجنون يقتل أخاه من أبيه وأمه . أسمعت ؟

أحد الثلاثة : ويلك يا ابن عمى لا تقل هذا .. لا تسمعه من فمك الأقدار .

ثامر : إن أصبح إبراهيم غدا فى الأحياء فدع الأقدار تسمعه من فمى .

أحد الثلاثة : لم يبق الآن عذر يا نعمان فأنجز الليلة مهمتك وتوكل على الله فقد يسعفك النجاح الليلة ولا يسعفك ليلة أخرى .

ثامر : يا نعمان . يا أخى يا ابن فهد النعسان أيجمل بك أن تتلهى بمسامرة هذا النجدى ومجاذبته أطراف الأحاديث وأشلاء أبيك معطّشة فى بطن الثرى تشكو من حر الصدى وتتململ من حرقات الجوى ؟ يالعار القبيلة يالشنار بنى النعسان !

نعمان : حسبك يا ثامر حسبك . لقد أغمدت خنجرك المسموم فى صدر فتى موتور .

ثامر : (**يعانق أخاه نعمان**) بل أطرت الرماد عن الجمر فى

قلب مسعور أنت الآن أخى حقا . سامحنى يا أخى إذ اتهمتك بنسيان ثأر أبيك .

نعمان : لقد عرفت الآن أن الحق معك يا ثامر : إن التسويف لا يأتى بخير .

ثامر : أين كيس البن الذى معك يا زيد ؟

زيد : ها هو ذا عندى .

ثامر : أعطه لنعمان .

زيد : (**يناول نعمان كيس البن**) خذ يا نعمان .

(يأخذه نعمان منه)

ثامر : أهد هذا البن اليمنى الفاخر لصديقك فسيفرح به واقترح عليه أن يصنع قهوتكما الليلة منه . (**يناوله كيسا صغيرا**) وخذ هذا المسحوق فإذا أخذتما فى احتساء القهوة فغافل جليسك وضع شيئا من هذا المسحوق فى فنجانه فسيغلبه النعاس ويميل به أرضا فقم حينئذ للأخذ بثأر أبيك .

نعمان : إنها لفكرة مدهشة يا ثامر .

زيد : لقد هيأ لك أخوك كل شيء يا نعمان فما بقى عليك إلا أن تغمد خنجرك فى صدر نائم على فراشه . وسأكفيك أنا هذا النجدىّ صاحبك .

نعمان : ما تقول يا زيد ؟

ثامر : دعك منه . إنه يريد أن ينتقم من سرحان للصفعة التى نالته منه فى وادى الزراعة .

نعمان : إنه أجبن من ذلك .

ثامر : وإذا ما خلا الجبـــــان بأرض
طلب الطعـن وحـده والنـزالا

زيد : ستعلمون أنى لست جبانا ولا أنام على ثأر .

ثامر : حسنا ، قد علمنا إنك لبطل الأبطال فاقطع عنا كلامك ودعنا فيما نحن بسبيله .

زيد : وقد علمت أيضاً أن كلامى لا يعجبكم فهأنذا سكت .

ثامر : (**لزيد**) خيراً صنعت . (**للجميع**) اسمعـوا يا إخـوانى منى . ستبقون أنتم الأربعة مرابطين هنا لعل نعمان يحتاج إليكم ، وسأنتظركم فى الحىّ وآمر العشيرة أن تكون على أهبة . فإذا فرغ نعمان من عمله فليلحق بكم ولتنطلقوا معا إلينا تجدوا الخيول مسرجة تنطلق بنا إلى الصحراء . أفهمتم ؟

الجميع : نعم .

ثامر : (**نعمان**) أعندك خنجرك المسـموم ؟

نعمان : أجل هو ذا عندى (يخرج الخنجر من بين ثيابه ويريه إياه)

ثامر : (**يعانقه**) بارك الله فيك .. امض يا أخى واذكر أنك ابن فهد .

نعمان : ثق بأخيك يا ثامر .

(يمضى نعمان جهة القصر)

ثامر : (**للأربعة**) ابتعدوا قليلا عن هذا المكان لئـلا يلحظكـم سرحان من الرواق .

(يتقهقر ثامر والأربعة معه وهم ينظرون إلى نعمان حتى يتواروا عن الأنظار فى يسار المسرح) .

(يرقى نعمان الدرج حتى يصل إلى الرواق فيسقط الخنجر من ثيابه ويقع على الأرض فيلتقطه مضطربا) .

نعمان : ويلى ما أشأم هذا الفأل ! أتراه يسقط من كفى فى حضرة إبراهيم ؟ .. لا يا ابن فهد تشجع . (**يتجه إلى يمين الرواق حيث يتوارى برهة عن النظارة ثم يعود ومعه سرحان**) هل نام سيدى الباشا ؟

سرحان : إنه أرق الليلة ولكنه نام قبيل الآن بعد أن أخذت قسطى الوافر من النوم .

نعمان : وأنا أيضا قد أخذت بنصيب وافر منه أول الليل .

سرحان : إذن فلنسمر إلى الفجر فقد اشتقت إلى السمر معك بعد أن انقطعت عنى هاتين الليلتين فأين كنت ؟

نعمان : إنه الزكام يا سرحان قطعنى عنك فيهما .

سرحان : وكيف أنت الآن ؟

نعمان : الحمد لله بخير .

سرحان : الحمد لله .. أجر وعافية . وما هذا الذى بيدك ؟

نعمان : هدية يا سرحان أرجو أن تتقبلها منى .

(يناوله كيس البن) .

سرحان : (**ينظر فى الكيس ويشمه**) هذا بن يمنى جيد يا نعمان . أشكرك على هديتك .

نعمان : إن صديقا لى أهدانيه فأحببت أن أطرفك به لشغفك بالبن الجيد .

سرحان : والله لأصنعنّ قهوتنا الليلة منه . سأجىء بالبساط والأدوات

هنا فنصنعها قهوة فاخرة .

(**يذهب سرحان إلى يمين المسرح ويتوارى**) .

نعمان : (**يضع يده على صدره**) يا للقلب المضطرب ! هذه ساعة والله رهيبة لكأنى بنفسي التي بين جنبيّ تبرأ منى ! كيف أقتل إبراهيم باشا ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟ وصديقى سرحان كيف أحمله تبعات اغتيالى وغدرى ؟ ما عساه يقول إذا وقع الأمر المحذور ؟ أأفجعه فى مولاه إبراهيم وفى صديقه نعمان ؟ لكن كيف أترك قاتل شيخى يعيش ؟ قاتل فهد النعسان ... قاتل أبى . آه قد يخاف المرء الشيء فتدفعه الأقدار إليه معصوب العينين . وما الأقدار سوى الأصداء التى تتردد فى جنبات النفس .

(**يعود سرحان حاملا معه أدوات القهوة وبساطا يفرشه على أرض الرواق**)

سرحان : تفضّل يا صديقى نعمان .

نعمان : (**يجلس على البساط**) شكرا يا سرحان .

سرحان : أمّا أنا فسأجلس هنا على طرف البساط حيث أكون قريباً من هذا الكانون . (**يجلس على طرف البساط ويضع الكانون بجانبه خارج البساط . يفرغ شيئاً من الفحم فى الكانون ويشعل حزمة من الحطب الرقيق عليه**) (**ينظر فى وجه نعمان على ضوء اللهب**) أراك الليلة واجما يا نعمان على وجهك آثار الاغتمام فهل تشكو من بأس ؟

نعمان : (**يتظاهر بالتجلد والثبات**) لا يا سرحان لا أشكو شيئا .

سرحان : أتحاول كتمان أمرك عني يا نعمان ؟ ألا تقول لى لعلى أستطيع أن أسرّى عنك .

نعمان : أىّ أمر أكتمه عنك يا صديقى ؟

سرحان : إنى قد صحبتك مدة تكفى لأعرف ما يدور بخلدك .

نعمان : (**يزداد اضطرابا وامتقاعا**) إن كنت تعرف ما يدور بخلدى فقل لى ما هو ؟

سرحان : والله لا أدرى ما هو ولكننى أعرف أنّ بك الليلة هما وأنك لست طلقا كعادتك .

نعمان : (**يسرى عنه**) أما يلمّ بك الشوق أحيانا إلى أهلك بنجد يا سرحان ؟

سرحان : (**يحرك الفحم فى الكانون ويقلب أسفله أعلاه ويشب النار بمروحة فى يده**) بلى يا نعمان قد تهزنى الذكرى إليهم ولا سيما والدتى العجوز ، فهل نابك الليلة شيء من هذا ؟

نعمان : أجل ، ذكرت أهلى بطرابلس فانتابنى ما ترى .

سرحان : (**باسماً**) لعل لك حبيبة هناك هزك الشوق إليها .

نعمان : إن لى ابنة عم لا تظل سماء طرابلس أجمل منها . وقد أوشكت أن أتزوج بها لو لم يطلبنى الحاكم التركى لشيء بلغه عنى فهربت من البلاد ليلا ولم يكن بينى وبين أن تزف إلىّ إلا بضعة أيام .

سرحان : (**يضع إبريق الماء على الكانون لإغلائه**) ما الشيء الذى بلغه عنك ؟

نعمان : بلغه أنى أحرض القبائل على عصيان الدولة والامتناع عن دفع

الضرائب .

سرحان : هل كان ذلك منك نعمان.

نعمان : إنما حرضت الناس على أن يطالبوا الحاكم بالعدل فى تقدير العشر وأن لا يدع محصّليه يفرضون على الناس كما يشتهون، فيأخذون منهم ربع الريع أو ثلثه وقد يبلغ أحيانا إلى نصفه .

سرحان : لعل الحاكم قد ابتاع مجموع الضرائب والرسوم من الدولة فهو يحصّلها ويشتط فى ذلك .

نعمان : نعم فلا همّ له إلا أن يبتز أموال الناس قبل أن يعزل بغيره ممن يقدم للدولة عطاء أكبر .

سرحان : إن الدولة لتجرى على هذا الأسلوب فى جميع الولايات التى تحكمها : يبتاع أحدهم الولاية بالثمن الغالى من دولته كيما يتقاضى أضعاف أضعافه من دماء الشعب الذى ولته عليه ، ولكن هوّن عليك يا نعمان . سينقضى هذا العهد الذى يشكو العرب جميعاً منه .

نعمان : متى ينقضى هذا العهد البغيض يا سرحان ؟

سرحان : سينقضى عندما يتمّ لمولانا إبراهيم باشا طرد آخر رجل منهم عن آخر شبر من الوطن العربىّ .

نعمان : ليت شعرى أيكون لبلادى نصيب من هذا الرجاء ؟

سرحان : ولم لا وما يجاهد إبراهيم باشا إلّا ليحرّر أقطار العرب عامة ؟ وتأكد أن الشام إذا فتحت له كان فتح غيرها من البلاد العربية أمراً ميسورا .

نعمان : أفى نيّته أن يفتح طرابلس الغرب ؟

سرحان : لقد سمعته كثيراً ما يذكر لا طرابلس الغرب فحسب بل المغرب كله إلى بحر الظلمات ، وما رفض والده العظيم محمد على باشا ما كتب به إليه ملك فرنسا من اشتراك مصر معه فى فتح بلاد الجزائر إلا لهذا الغرض .

نعمان : ألا ترى أن حرب الشام ستطول كثيرا يا سرحان ؟

سرحان : لن تطول بإذن الله فما لقينا جيوش الدولة فى معركة إلا هزمناهم . وقد لقوا فى وادى الزراعة هزيمة منكرة ملأت قلوبهم رعبا فلن يثبتوا لنا فى وقعة بعدها . ولا تنس أن أهالى البلاد معنا بأيديهم وقلوبهم . ولولا هذه المدينة العنيدة عكاء لقد تمّ لنا فتح الشام قبل اليوم (**يلتفت إلى إبريق القهوة وهو يغلى**) قد أنسانا الحديث قهوتنا يا نعمان .

(يفرغ شيئا من البن فى الإبريق ومسحوقا من القرنفل والهيل ويحرك الملعقة فيه ثم ينزله من على الكانون)

نعمان : صبّ قهوتك يا سرحان فإنى مشتاق إليها .

سرحان : لا تعجل يانعمان .. حتى تهدأ وتروق .

نعمان : ما أذكى عرفها وأطيب رائحتها .

سرحان : وما أشهى مذاقها يا نعمان .

(يطلع القمر من الأفق شيئا فشيئا حتى تسقط أشعته على الرواق فتنيره)

نعمان : (**ينظر إلى القمر**) وما أجمل هذا القمر يطلع علينا ليسامرنا .

سرحان : (**يبتسم**) لكأنه أدرك موعد صبّ القهوة ليشاركنا فيها .

نعمان : جزاء تأخيرك لصبّها يا سرحان .

سرحان : لا تخف يا أخي فالقمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويؤنس ولا يوحش ويفى ولا يغدر .

نعمان : فصبها إذن فقد آذنك القمر بذلك .

سرحان : أجل والله الآن حين طابت وراقت .

(يصب القهوة من الإبريق فيملأ فنجانين يقدم أحدهما لنعمان ويأخذ الآخر لنفسه)

نعمان : (**يحتسى قهوته**) لقد ألفت قهوتك هذه حتى صرت لا أسلوها يا سرحان .

سرحان : (**يتنهد**) لشدّ ما يذكرنى هذا السمر وهذا الليل المقمر نجداً يا نعمان .

نعمان : إيه حدثنى عن نجد وأيام نجد يا سرحان .

سرحان : حيث كنا نخرج فى الليلة القمراء إلى البطحاء ونسمر تحت النجوم على ود وصفاء . حيث كنا نغنّى أغانينا البدوية نرسلها كالحداء ترددها الصحراء وتصغى لها آذان الفضاء . حيث كنا تفرش البطحاء وقد بردت حبات الرمل بها إلا ما يرسله جوفها من دفء بشهى يحدث عن أشواق ذكاء .

نعمان : ما أحلى كلماتك يا سرحان وأشبهها بالشعر .

سرحان : يا ليتنى كنت شاعرا فأعبّر عما يضطرم بين جوانحى .

نعمان : من ذكرى نجد يا سرحان ؟

سرحان : أجل من ذكرى نجد .

نعمان : (يبتسم) ومن ذكرى الشيّماء حبيبتك .

سرحان : (يتنهد) وهل نجد عندى إلا الشيّماء ؟ ألا تشعر مثلى يا نعمان بأن طرابلس الغرب ما هى إلا ابنة عمك ؟

نعمان : بلى يا سرحان هذا ما أشعر به .

سرحان : آه يا نعمان إنى لأكاد الآن أطير شوقا إلى نجد وإنى لأشعر بحاجة إلى الغناء والترنم .

نعمان : فما يمنعك من ذلك يا سرحان ؟ إنى لأشتهى أن أسمعك تغنى كما غنيتنى ليلة قصيدتين رقيقتين فى الشوق إلى نجد .

سرحان : أأعجبك غنائى تلك الليلة يا نعمان ؟

نعمان : كيف أصف لك طربى لذلك الغناء ؟ لكأنى كنت والله أسمع نبضات قلب الصحراء من ثناياه .

سرحان : ولكنى أخشى يا نعمان أن أوقظ مولاى إبراهيم .

نعمان : صدقت ، ولكنك تستطيع أن تخفض به صوتك فلا يسمعه أحد غيرنا ، فدعنى أتول عنك علاج القهوة لتفرغ لغنائك .

(يقوم نعمان من محله ويجلس فى محل سرحان ويجلس سرحان فى محل نعمان)

سرحان : طاعة لك يا صديقى نعمان .

نعمان : **(يملأ فنجانا من القهوة لسرحان)** اشرب هذا الفنجان أولا ثم ابتدىء فى الغناء .

سرحان : **(يشرب القهوة ويأخذ فى الدندنة ثم يغنى)** :

ألا ياصبا نجد متــى هجت من نجد
لقـد زادنى مسراك وجـدا على وجـد
أأن هتفت ورقـاء فى رونـق الضحـى
على فنـن غض النبــات من الرنـــد
بكـيت كما يبكـى الوليـد ولم تكـــن
جليدا وأبديت الـذى لم تكـن تبـدى
وقـــد زعمـــوا أن المحب إذا دنـــا
يمل وأن النـأى يشفـــى من الوجـــد
بكـل تداوينـــا فلـــم يشف ما بنـــا
على أن قرب الـدار خير من البعـــد
على أن قرب الـــدار ليس بنافـــع
إذا كان من تهواه ليس بذى ود

نعمان : أحسنت وأطربت يا سرحان فبحياتى عليك إلا ماغنيت الأبيات الأخرى .

سرحان : أشعر ببعض القلق من قبل مولاى إبراهيم . فسأجوس خلال غرفته لأستوثق من نومه .

نعمان : لا أحسب صوتك الخافت يصل إليه . ولكن لا بأس أن تستيقن من ذلك إن شئت (**ينهض سرحان ويتوجه إلى يمين الزواق حيث يغيب**) هذه فرصة طيبة لأضع المرقد فى فنجانه (**يخرج كيس المسحوق من جيبه**) ولكنها خيانة والله لصديقى منى . أتراه أحس بشيء من هذا حين قال إن القمر سمير كريم يعطى ولا يأخذ ويفى ولا يغدر ؟ ويلى أيثق بى وأخونه ويفى لى

وأغدر به ؟ غير أنى قد وعدت ثامر الليلة بإنفاذ المهمة وهو قاتلى لا محالة إن لم أفعل . (**يضع المرقد فى فنجان سرحان ويحركه فيما بقى من القهوة**) سامحنى يا سرحان.

(**يعود سرحان ويجلس فى محله**) .

نعمان : كيف وجدته يا سرحان ؟

سرحان : الحمد لله .. وجدته نائما على سريره .

نعمان : قد قلت لك إن صوتك لا يبلغه .

(**يصب من الإبريق فى فنجان سرحان فيملأه**) اشرب هذا ثم غن.

سرحان : (**يشرب القهوة ثم يبدأ فى غنائه**)

قفا ودّعا نجدا ومن حل بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

(**يأخذ النعاس يداعب جفنيه ويضمحل صوته شيئا فشيئا**)

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى
على كبدى من خشية أن تصدعا

(يترنح يمينا وشمالا وعيناه مثقلتان بالنعاس فيدنو منه نعمان ويسنده ثم ينيمه على فخذه وهو ما يزال يترنم بغنائه بصوت ضعيف حتى انقطع عنه وغرق فى سبات عميق) .

نعمان : (**يحركه**) سرحان سرحان ! (**لا يجيب سرحان**) يا له من سبات عميق . قم يا نعمان .. قم لثأر أبيك .

(يضع رأس سرحان على ردائه فى الأرض . وينهض مضطربا يتلفت يمينا وشمالا) .

زيد : (**يظهر فى البقعة التى كان فيها مع ثامر وبنى عمومته كالمتجسس**)ها قد نام النجدىّ اللعين . ويل له منى لأقتلنّه الليلة .

نعمان : (**واقفا يتردد بين الإقدام والإحجام**) كيف أقتل إبراهيم ؟ أأقتله وهو منقذ قومى العرب ؟ يا للجرم الأكبر .. يا لجرم الأبد . وصديقى سرحان هذا الصديق الكريم ما ذنبه إلىّ فأحمّله غدا هذه التبعة العظيمة ؟ لا يا نعمان .. لا تفعل ، إنك لترتكب جرما جسيما إذ تخون صديقا كريما وتقتل بطلا من أبطال قومك عظيما ، من أجل أب قد طواه الثرى واستحال رميما . (**يبدو له شبح أبيه أمامه**) . ماذا أرى ؟ من هذا ؟ أبى فهد النعسان ! يا لله كيف قام من قبره ؟ لا يا أبت لا .. لا تخفنى بوجهك هذا الشاحب الهزيل وشعرك هذا الأرجوانىّ يقطر منه الدم !

زيد : (**فى مرقبه الأول**) عجبا .. لا أرى أحدا مع نعمان .. من ذا يخاطبه يا ترى ؟

الشبح : أيخاف ابنى منّى ؟ ويلى .. أنت سببت لى هذا يا إبراهيم . إيّاك يا نعمان أن تنسى ثأرى . (**يكشف عن صدره**) انظر يا نعمان إلى هذه الطعنة فى صدرى .. ها هنا طعنونى . وهنا مزقوا أحشائى فسالت تتدلى على ساقىّ .

نعمان : (**يغمض عينيه**) يا للهول !

الشبح : انظر إلى حلقى .. هنا ذبحونى .. هنا قطعوا الأوداج منى فأنشأ رأسى يخفق على كتفىّ !

نعمان : يا لهول المنظر .. يا للفظاعة !

الشبح : هيا أعدّ خنجرك .. هيا امش معى إلى قاتل أبيك .. هيا اتبعنى .

نعمان : (**يسل خنجره**) سمعا .. سأتبعك . (**يلتفت إلى سرحان**) وداعا يا سرحان .

(**يتقدم الشبح فيتبعه نعمان حتى يتواريا عن الأنظار**)

زيد : (**يقصد نحو القصر حتى يصل إلى طرف الرواق**) هذا والله جميل .. نعمان يقتل إبراهيم ، وزيد يقتل سرحان . (**يسلّ خنجره**) هل أطعنه بالخنجر ؟ .. لا لا .. ربما يصحو فيطوقنى بيديه . ولكن سأطعنه بالرمح ليعصمنى منه طوله .

(**يغمد خنجره ويقبض على رمحه بيمينه**)

نعمان : (**يبدو من شباك الدهليز الموصل إلى غرفة إبراهيم باشا — يسمع الحركة فيطل فيرى زيدا يقترب من سرحان والرمح فى يده**) . لعنة الله عليك يا زيد ، تقتله وهو نائم . تبالك يا جبان !

زيد : (يلحظه شزرا) لا شأن لك بى .. امض لشأنك .

نعمان : (يصيح) سرحان ! سرحان ! انتبه يا سرحان !
(يسدد زيد رمحه ليطعن به سرحان) .

نعمان : سرحان ! انتبه يا سرحان !
(يرتاع زيد فتصيب طعنته يد سرحان اليسرى فيهب مذعورا)

سرحان : (يفرك عينيه) ويل لك من أنت يا هذا !

زيد : (يسدد الرمح إليه ليطعنه فى صدره) خذها يا تعيس الحظ فلن تعرف من أنا .

سرحان : (يحيص عن الطعنة ويهجم فى لمح البصر بخنجره على زيد فيلقيه صريعا على الأرض) بل خذ هذه يا قصير العمر سأعرف من أنت جثة هامدة
(يظهر شخص إبراهيم باشا خلف نعمان من الشباك)

إبراهيم : عجبا .. ليس هذا سرحان ... ماذا تصنع هنا يا فتى ؟

نعمان : (يستدير إليه) جئت يا غريمى .. فذق هذا الخنجر المسموم (يهجم على إبراهيم باشا بخنجره ولكن إبراهيم يتلقى الطعنة بالقبض على يده)

إبراهيم : ويل لك .. من أنت ؟ كيف أتيت هنا ؟ (يجر نعمان معه لينزل به إلى الرواق)

سرحان : (يلتفت يمينا وشمالا باحثا عن نعمان) نعمان ! أين أنت يانعمان؟ عجباً .. أين ذهب ؟

(يظهر إبراهيم على الرواق وبإحدى يديه خنجر نعمان والأخرى على يد نعمان يجره جرا) .

سرحان : (مدهوشا) مولاى .

إبراهيم : ما هذا يا سرحان ؟ كيف جاء هذا الفتى إلى مخدعى والخنجر فى يده ليقتلنى ؟ أين يا حارسى كنت ؟

سرحان : يا ويل أبى ، أهذا نعمان ؟ أينوى نعمان هذا الجرم العظيم ؟ أجننت يا نعمان ؟ كيف جرؤت على هذا ؟

إبراهيم : (ينظر إلى زيد الصريع على الأرض) من هذا الفتى المطعون ؟

سرحان : لا أعرف من هو يا مولاى .. لقد جاء يقصد قتلى .

زيد : أنا زيد من أنصارك يا مولاى ، أتيت لأحبط هذا التآمر عليك من سرحان وهذا الفتى لاغتيالك ، فعاجلنى هذا بطعنة من خنجره فوقعت كما ترى . ولكنى سأموت قرير العين لأنك نجوت من كيدهما .

سرحان : كذبت يا جبان (يهم أن يجهز عليه) أئنك لحىّ بعد ؟

إبراهيم : دعه يا سرحان لا تمسسه .

زيد : إنما رام قتلى ليخفى هذا السر عليك .

إبراهيم : ما قولك يا سرحان ؟

سرحان : ما أحسب مولاى إبراهيم يصدّق شيئا من هذا .

إبراهيم : إذن فقل لى كيف أذنت لنعمان هذا أن يقصد مخدعى والخنجر فى يده ؟

سرحان : إنى اتخذته صديقا فيك ، وفى العرب.وما خطر قط ببالى أنه سيحاول يوما هذا الجرم الكبير .

إبراهيم : أجعلت مكانى سمراً لكل من هبّ ودبّ ؟

سرحان : أنا معترف بالخطيئة يا مولاى ، فأوقع بى من عقابك ما أستحق .

نعمان : لا تعاقبه يا مولاى فهو برىء وإنى أنا المذنب . أنا الذى اتصلت به وخدعته بصداقتى وقد أسقيته الليلة المرقد لأدرك ثأر أبى منك .

إبراهيم : منى أنا يا هذا ؟ من يكون أبوك ؟

نعمان : فهد النعسان .

إبراهيم : (**يلتفت إلى سرحان**) فهد النعسان ! أتأتى بابن فهد النعسان هنا عندى ؟

نعمان : كان لا يدرى أنى ابنه يا مولاى ، فقد أوهمته أنى عربىّ من طرابلس الغرب .

زيد : لا تصدّقه يا مولاى فإنما يريد تبرئه شريكه فى الجريمة . ولو لم يشغلنى بصياحه من الشباك لأثبت رمحى فى هذا المجرم فأرحت الوجود منه .

نعمان : اسكت يا وغد .

زيد : سأسكت عما قريب إلى الأبد ، ولكنكما ستلقيان جزاء جريمتكما .

(يهجم الرجال الثلاثة من أبناء عمومة ثامر على إبراهيم

ويحيطون به)

سرحان : (ينفخ فى صفارته للاستنجاد)

نعمان : (وهو فى قبضة إبراهيم باشا) أرسل يدى يا مولاى . والله لأدفعنّ دونك .

إبراهيم : (يجعل ظهره إلى الجدار . ونعمان فى قبضة يده) ويلكم ما جاء بكم ؟

أحد الثلاثة : أجَلُك ؟

سرحان : (يهجم عليه فيصرعه على الأرض) بل آجالكم حانت ! (يدنو الثانى ليطعن إبراهيم باشا برمحه فيدفعه نعمان برجله فيزحزحه بعيداً)

الثانى : لعنة الله عليك يا نعمان !

نعمان : (يرسله إبراهيم باشا من قبضته) بل لعنة الله عليك وعلى من أرسلك !

الثانى : (يحاول طعن إبراهيم باشا مرة أخرى فيطوقه نعمان بذراعيه من خلفه ويقبض بيده على وسط الرمح) ويلك ، أتمنعنى من أن آخذ لك بثأر أبيك ؟

نعمان : نعم أمنعك وإن أبيت قتلتك .

الثالث : (يهوى بسيفه على إبراهيم باشا) لا نجوت إن نجوت منى (يحيص إبراهيم عن ضربته فتقع على الجدار ويلكمه على وجهه بجمع يده فيلقيه على الأرض ويذهب ناحية زيد ليأخذ حربته فإذا زيد يحاول طعنه فيركله إبراهيم برجله فيقضى عليه ويأخذ منه حربته فيطعن الصريع وكان قد

قام وحمل بسيفه على إبراهيم)

سرحان : **(يقوم من على خصمه وقد انتزع سلاحه منه فيقتله به)** خذه من يد عزرائيل .

(يخف إلى جهة نعمان وخصمه وهما يتنازعان الحربة فينتزعها منهما)

نعمان : **(ما يزال ضاما خصمه من خلف)** اقتله يا سرحان .

الثانى : عار عليك يا نعمان أن تأمر بقتل ابن عمك لا لذنب ارتكبه إلا أنه أراد أن يعينك على الأخذ بثأر أبيك .

نعمان : قد أنذرتك أن تكف عن هذه المعونة وتمضى لسبيلك فأبيت .

الثانى : إن لم يعد يهمك الأخذ بثأر أبيك الآن فأجدر أن لا يهمنى أنا ، فدعنى أنصرف لسبيلى .

إبراهيم : دعه يا سرحان لا تقتله .. ما أرى إلا أنّ لمقال هذا الرجل نصيبا من الحق . **(يقبل اثنا عشر جنديا من الحرس مسرعين)** **(يلتفت إلى نعمان)** أرسل ابن عمك هذا .

نعمان : **(يرسله)** سمعا يا مولاى .

(يصل الجنود إلى الرواق فيرفعون أيديهم بالتحية)

أحد الجنود: هل من حادث يا مولاى ؟

إبراهيم : لا شىء .. احملوا هذه الجثث وأبعدوها عنا **(تحمل الجثث الثلاث كل جثة يحملها اثنان)** **(يشير إلى ابن عم نعمان)** واصرفوا هذا الرجل من هنا ولا تمسوه بسوء **(للرجل)** انطلق إلى قومك فبلغهم أنى عفوت عنك .

الرجل : شكــراً لك يا أمير مصر .. لن أعين علــيك بعــد اليوم .

(يمضى الرجل يرافقه ثلاثة من الجند)

إبراهيم : (لبقية الجنود الذيـن حضروا) انطلقـوا إلى المعسكـر فأيقظوا الكولونل سيف والأمير عباس وأحمد بك المنيكلى ليحضروا حالا .

الجنود الثلاثة : سمعا يا مولانا (**يمضون**)

إبراهيم : (لسرحـان ونعمـان) بارك الله فيك وفى صديـقك يا سرحان .

سرحان : أنا فى خدمتك الدهر يا مولاى العظيم .

نعمان : الحمد لله الذى نجاك ونجىّ بك يا مولاى يا أمير العرب .

إبراهيم : (**لنعمان**) إن أمرك يا فتى لعجيب .

نعمان : والله الذى لا إلـٰه إلا هو لقد أمسيت يا مولاى أحب الناس إلىّ . إن سرحان مازال يذكر لى آمالك فى توحيد العرب وإحياء سؤددهم حتى كاد ينسينى أن شيخى من قتلاك .

إبراهيم : اقتصد فى يمينك فإنى لم أزل قاتل أبيك .

نعمان : لقد احتسبت حياة أبى فى سبيل حياة العرب . رحم الله أبى ، لو عاش حتى علم حقيقة مسعاك لرجوت أن يكون نصيرا لك ، ولكن والى عكاء خدعه إذ أوهمه أنك تسعى لتثبيت أقدام الترك فى البلاد .

إبراهيم : ما يدريك أنى لست كما يقول والى عكاء ؟

نعمان : هيهات يا مولاى أن يشك اليوم أحد فى مسعاك . لقد وضح الصبح لدى عينين .

إبراهيم : فأين كانت عيناك حين جئت تحمل لى الموت فى يمينك ؟

نعمان : كانتا معى يا مولاى ، ولكن ثامرا أعماهما — أعمى الله عينيه .

إبراهيم : من ثامر هذا ؟

نعمان : هو أخى وشيخ القبيلة بعد أبى . قد رابه تسويفى للجريمة من يوم إلى يوم فأقسم ليقتلنىّ غدا إن لم أنفّذها الليلة . وإنى والله ما حملت الخنجر إليك إلا وأنا أتمنى أن يقع من يدى أو يرتدّ فى نحرى .

إبراهيم : من هؤلاء الذين هاجمونا الليلة ؟

نعمان : رجال من بنى عمومتنا يا مولاى .

إبراهيم : أين كان أخوك ثامر .. لم لم يجئ معهم ؟

نعمان : كان فى الحىّ ينتظرنا أن نلحق به بعد ارتكاب الجريمة .

إبراهيم : ألا ترى مطمعا فى استرضائه واستمالته إلينا ؟

نعمان : ما إخاله يكف عن محاولته الأثيمة وتحريضه العشيرة على الأخذ بالثأر .

إبراهيم : (**يطرق هنيهة ثم يقول**) ما أراك إلا صادقا فيما تقول فما تظننّى صانعا بك ؟

نعمان : إن تعاقب فعدل منك يا مولاى وإن تعف عنى فأنت لذلك أهل .

إبراهيم : قد عفوت عنك فاذهب حرا أين شئت .

نعمان : شكرا لك يا مولاى ولكنى لا أستحب عفوا يقصينى عن خدمتك ، فهل لى أن أقاتل معك حيثما قاتلت . ولعلى أدفع عنك كيد أخى ورجاله فإنى أعرفهم دونك .

إبراهيم : ما رأيك فيه يا سرحان ؟

سرحان : لا أستطيع أن أشير عليك به بعد أن خدعنى هذه الخدعة الكبرى يا مولاى .

إبراهيم : ولكنى أثق به لأنه لا ينخدع مثلك يا سرحان .

سرحان : أتعفو عنه يا مولاى ولا تعفو عنى وهو الذى أوقعنى فى غضبك ؟

إبراهيم : سأؤجّل العفو عنك يا سرحان حتى ندخل مدينة عكاء غدا إن شاء الله .

سرحان : غدا ... أقرّرت الهجوم غدا يا مولاى ؟

إبراهيم : نعم .

سرحان : (**تتهلل أساريره**) يا بشرى ! والله لأكوننّ أول رجل فى جيشك يقتحم السور .

إبراهيم : (**مبتسما**) أنت لها يا ابن غالية .

(يقبل الأمير عباس باشا والكولونل سيف وأحمد المنيكلى بملابسهم الرسمية)

عباس باشا : (**لزميليه الضابطين**) هذه آثار الدم على الأرض .

سيف : نعم دماء الثلاثة الذين قتلوا .

أحمد المنيكلى : أجرت معركة هنا ونحن لا نعلم ؟

سيف : (**لإبراهيم باشا**) خير يا مولاى .

عباس باشا : ماذا حدث يا عم ؟

إبراهيم : حادث بسيط .. جماعة من الأشقياء أرادونى بسوء فكفانى الله شرهم بهذين البطلين (**يشير إلى سرحان ونعمان**)

سيف : (**يصافح سرحان ثم نعمان**) امدد يدك يا سرحان .. وأنت يا بطل .

عباس باشا : (**يصافحهما أيضا**) بارك الله فيكما .

أحمد المنيكلى : (**يصافحهما**) أهنئكما .

سرحان ونعمان : (**على وجهيهما آثار الخجل**) شكرا .

أحمد المنيكلى : ولكن كيف جاء الأشقياء هنا ؟

عباس باشا : نعم .. كيف أمكنهم ذلك ؟

إبراهيم : لا تسألوا عن هذا الآن فسأقصه عليكم غدا إن شاء الله فى قصر عبد الله باشا بعكاء .

الضباط الثلاثة : (**ينظر بعضهم إلى بعض**) غدا بعكاء !

سيف : أينوى مولاى الهجوم ؟

إبراهيم : نعم ولهذا دعوتكم الآن . أين خريطة المدينة أهى معك ؟

سيف : (**يستخرج الخريطة من جيبه الداخلى ويقدمها لإبراهيم باشا**) نعم يا مولاى هذه هى .

إبراهيم : (**يتناولها وينشرها معتمدا بها على حائط الرواق — ينظر فيها مليا**) تعال ادن منى يا سيف .

سيف : (يدنو منه) مولاى .
إبراهيم : انظر يا سيف ألست ترى أن هذه النقطة صالحة لنهاجم سور المدينة منها ؟
سيف : حقا يا مولاى فهذا أقصر خط إلى كبرى الفتحات الثلاث التى أحدثتها مدافعنا فى السور .. ولكن ..
إبراهيم : ولكن ماذا ؟
سيف : أرى يا مولاى أنه لم يحن وقت الهجوم بعد .
إبراهيم : لم يحن وقت الهجوم بعد ؟ أنبقى إذاً نصف عام آخر حتى نفتح هذه المدينة ؟ لا يا سيف .
سيف : إنّ مآلها التسليم يا مولاى حين يطول عليها الحصار وينفد فيها القوت .
إبراهيم : ما أحسب هذه المدينة ينفد منها القوت ولو حاصرناها عاما كاملا .
سيف : صبرا قليلا يا مولاى ..
إبراهيم : لن أصبر أطول مما صبرت . لقد أوشكت الليلة أن أغرق فى شبر ماء من طول مقامى فى هذا القصر .
سيف : تعنى حادث الليلة يا مولاى .. حماك الله من كل سوء .
عباس باشا : كيف جرى هذا الحادث يا عم ؟
إبراهيم : ستعلم ذلك يا ابن أخى غدا فى عكاء . وما أحسبه إلا إيذانا من الله لنا بالهجوم .
سيف : ولكن فى الهجوم غداً شيئا من المجازفة يا مولاى .
إبراهيم : إن من النجاح ما لا يدرك إلا بالمجازفة .

سيف : إن المدينة يا مولاى ما زالت أمنع من أن يغير عليها الجيش وإنّ مدافعها سوف تحصده حصدا .

إبراهيم : (**متبرما**) كفى نقاشاوتثبيطا يا سيف .

سيف : اذكر يا مولاى أنها أعيت قبلك صرامة نابليون .

إبراهيم : (**يحمر وجهه غضبا ويدق الرمح الذى بيده على الأرض**) دعنى من نابليون فإنّى إبراهيم ! (**يصمت الجميع هنيهة**)

سيف : سامحنى يا مولاى إن أثرت غضبك فما هو إلا الرأى الذى عودت عليه رجالك . وإنى بعد لعبد مطيع لك .

إبراهيم : (**يهدأ غضبه**) هذا ما يقتضيه الرأى يا سيف . إنك تعلم أنّ الأتراك سيعاودوننا بأكبر جيش لديهم فلن يجدوا قوّاتى حينئذ شطرين .

سيف : رأيك الرأى الأعلى يا مولاى .

إبراهيم : (**يضرب على صدر الكولونل سيف**) عشت يا سيف ، عشت يا زميلى القديم .

سيف : عبدك الدهر يا مولاى .

إبراهيم : لن تعجزنى عكاء وأنت معى .

سيف : شكرا يا مولاى .. شكرا .

إبراهيم : توكلوا على الله يا أبطال . إن صوت النصر يناديتا من أفواه تلك الثغر التى فى السور . ألا فاسمعوه ألا فلبوه !

الجميع : (**أصوات**) سمعنا ولبينا سمعنا ولبينا ! لبيك كلنا طوع يديك !

إبراهيم : ليهبّ الآن الجيش كله واختاروا أشجع فرسانه ليكونوا فى

طليعة الهاجمين : وستحملنى فرسى بينهم والله معى .

الجميع : الله ونحن معك .

إبراهيم : (**يلتفت إلى سيف**) وعلى رجالك يا سيف أن يحمونا بنيرانهم من حفافينا ريثما ننسف الأسوار ونقتحمها بإذن الله فاتحين .

سيف : سمعا يا مولاى .. لترعك عين الله .

الجميع : لترعك عين الله .

إبراهيم : (**ينظر فجأة إلى الأفق**) الله أكبر ! انظروا يا أبطال النيل ها هو ذا الفجر قد طلع . (**ينظر الجميع إلى الأفق**) لن تطلع شمس اليوم حتى نفتح تلك التى ارتدّ عنها نابليون ! إن الله لا يرضى أن تفتح هذه البلاد لغير العرب .

(ستــار)

الفصل الثالث

فى سهل قونيه فى اليوم التالى لمعركة قونية التى انتصر فيها إبراهيم باشا انتصارا حاسما على الأتراك . جانب من المعسكر المصرى يظهر فيه على يسار المسرح جانب من خيمة إبراهيم باشا يشتمل على بهو استقبال كبير وغرفة نوم يفصلها عن البهو باب واسع .

يظهر سرحان فى الزاوية اليمنى من المسرح خارج الخيمة .

سرحان : أين كنت يا صديقى نعمان ؟ هلمّ إلىّ — هنئنى أهنئك — هنئ أرض العرب .

نعمان : (**يقبل من يسار المسرح فيعانقه**) اليوم تقرّ العين .

سرحان : ويحيا القلب .

نعمان : ويصفو العيش .

سرحان : عشت يا سهل قونيه . فيك قصمنا ظهر العدوّ فلن يكون له على بلاد العرب بعد اليوم سلطان .

نعمان : أتدرى كم قتل منهم وأسر ؟

سرحان : أخبرنى الكولونل سيف بأن أسراهم يبلغون حوالى ستة آلاف وأن قتلاهم ضعف هذا العدد أو أكثر .

نعمان : سبحان الله .. أتمّ ذلك كله فى سبع ساعات ؟

سرحان : أجل ولكنها سبع ساعات فى طولها كسبع ليال . لقد رأيتنى وأنا أقاتل عن يمين مولاى إبراهيم باشا وهو يحرّض الصفوف

ويضرب ضرباته فى أبطال القوم وقد التحم الجيشان وغربت الشمس واعتكر الليل فما يعرف بعضنا بعضا إلا بالنداء حتى انهزم القوم كأننا كنا فى حلم . ومن يصدّق قط أن الجيش المصرى لم يخسر بعد هذا كله إلا ثمانمائة بين قتيل وجريح ؟

نعمان : آمنت بالله وأيقنت أن النصر بيده يؤتيه من يشاء .

سرحان : لا ريب فى ذلك فقد كنا أقل عددا منهم فى كل معركة هزمناهم فيها.ولكن لا تنس أن الجيش بقائده .

نعمان : صدقت .. ليس فى الدنيا بطل كإبراهيم باشا . ولا عزم أمضى من عزمه .

سرحان : ألا تعلم يا نعمان أنه ليس بيننا وبين اسطنبول الآن إلا مسيرة خمسة أيام ؟ آه لو تعلم أمى أىّ انتصار مجيد شهد ابنها اليوم للعرب.. إذن لقل عندها ما باعته من حليها لتجهزنى إلى مصر .

نعمان : (**يظهر عليه التأثر**) وددت لو أن أبى لم يقتل يا سرحان حتى شاهد استقلال بلاد العرب اليوم . إذن لفدى إبراهيم باشا بمهجته وبأرواح كل بنى النعسان .

سرحان : ما مضى فات يا نعمان فدع عنك التحسر والذكرى . دعنا نطرب . دعنا ننهب صفو هذا اليوم . هذا يوم تعتق من ذلها أوطان العرب . هذا يوم يرجع من مجدنا ما ذهب هذا يوم بسام الثنايا وضىء الشنب . فجره لؤلؤ والضحى فضة والأصيل ذهب !

نعمان : بعض هذا الفرح يا سرحان ، فمن يدرى ماذا تضمر الأقدار لنا فى هذا اليوم ؟

سرحان : دع عنك التشاؤم يا نعمان بيوم يزهر بالآمال .

نعمان : إنى لمحت أخى ثامرا فى المعسكر هذا الصباح .

سرحان : ماذا تخشى منه ؟

نعمان : لا أخشاه على نفسى وإنما أخشى أذاه على مولانا إبراهيم باشا .. فبالغ فى حراسته يا سرحان ولا تأخذ عينيك سنة .

سرحان : (**يضحك مازحا**) إلا أن تدوف لى فى القهوة مرقدا يا نعمان .

نعمان : لا تمزح يا سرحان فليس هذا أوان المزاح . علينا أن نرابط هنا ولا نبرح جوار الخيمة قط .

سرحان : لكنّى قد استأذنت مولاى إبراهيم فأذن لى بأن أجرى فى طلب القائد التركىّ لعلىّ أمسكه فأعود به أسيرا إلى مولاى .

نعمان : ما شأنك والقائد التركى ؟ أليس حراسة مولاك أهمّ من هذا وأوجب ؟

سرحان : فى هيبة مولاى إبراهيم وفى إقدامك يا نعمان غنى عنىّ

نعمان : إنى أدرى بأخى منك يا سرحان . إنه فاتك كالموت وموتور كاللّيث المهيج وإنى أخوه وقد لا تقوى على طعنه يمناى .

سرحان : ما إخالك تؤثر هذا الأخ المأفون على آمال العرب .

نعمان : معاذ الله يا سرحان ولكنه مرهوب اللقاء .

سرحان : ولست جبانا يا نعمان فتخشى لقاءه .

نعمان : (**متبرما**) لا أستطيع أن أحاجّك الآن يا سرحان وحسبى أن أقول لك إن قلبى ينذرنى بالشر .

سرحان : دع عنك وساوس قلبك . لا تخف سوءا .. إنّ إبراهيم ليعصمه ربه حتى يكمل استقلال العرب .
(**يهز يد نعمان**) فيك الخير يا نعمان .. إنك لا تنخدع مثلى . إلى اللقاء .

نعمان : (**يحاول كتمان ألمه**) الوداع يا سرحان (**يمضى سرحان**) (**يحدث نفسه والحزن باد عليه**) أبى ... رحمة الله عليك ! أبى ما أشقانى بك . كلما ازددت سروراً بانتصار العرب واستقلال بلادهم ازددت ألما لأنك لم تشهده .. بل لأنك قتلت دونه . ليت شعرى أحقا أنت ناقم علىّ وأنت فى العالم الآخر لأنى لم أطلب بثأرك بل جعلت أناصر قاتلك وأفديه بنفسى من كل سوء ؟ وهذا ابنك الآخر قد جاء باذلا روحه ليثأر لك وقد جعلت وكدى أن أحول بينه وبين ما يريد ولو أدى ذلك إلى قتله . آه يا أبت ما أشقانى بك،ما كان ضر الأقدار لو أمهلتك بضعة أشهر ، إذاً لكنت يا أبت أعقل وأحكم من أن تؤثر والى عكاء الغادر على إبراهيم منقذ العرب . رباه هذا أخى ثامر قد أقبل يسعى . ومن ذاك الذى معه ؟ ما أشبهه بخالد ابن عمى .. نعم هو خالد نفسه .
(**يظهر ثامر وخالد متنكرين ــ يستخفى نعمان**) .

ثامر : لن يفلت منى إبراهيم اليوم .. سأقتله فى أوج انتصاره .

خالد : أما إنه لانتصار عظيم لإبراهيم أدال به للعرب من ظالميهم

وولاهم فى الإدارة والجيش الرتب الكبرى بعد ذلك الغبن الطويل عليهم فى العهد التركى .

ثامر : حق ما تقول ، فلا شك أن إبراهيم هو المنقذ المأمول لتخليصنا من ظلم الدولة . ولو أبصرتنى أمس إذ كنت أرقب غرة منه لأقتله لرأيت عجبا . فقد اندفعت إلى المعمعان بلا وعى منى كالليث المهيج أقاتل أعداءنا فى صفوف المصريين .

خالد : أجل قد رأيتك أمس كأنك من جند إبراهيم .

ثامر : أكنت أبصرتنى ؟ أين كنت أوانئذ ؟

خالد : كنت خلفك غير بعيد منك وقد كان منى ما كان منك فلم أتمالك إذ التحم الجيشان وأبصرت قلة جيش العرب وكثرة أعدائهم أن خضت الوغى فى صفوف المصريين . فطابت نفسى حينئذ واطمأنت كأنى كنت أخا ذنب يقظان الضمير فتبت .

ثامر : عجبا هذا ما شعرت به أيضاً إذ ذاك .. والله لكأنك تحدثنى عما كان يجول بنفسى .. ولكن ما شأن هذا وشأنى ؟ لا شأن لى إلا بأبى ، والذى روى الأرض من دمه هو إبراهيم فلا بد لى أن أثأر منه (**يتلفتان حولهما فيتوارى نعمان**) أعلى استعداد أنت لتلقى الموت انتقاما لعمك فهد يا خالد ؟

خالد : ما سؤالك هذا يا ثامر ؟ هل جئنا إلّا لهذا ؟

ثامر : عشت يا ابن عمّى . هذه خيمة إبراهيم فلنرصدها حتى إذا خرج هاجمناه من خلفه ومن أمامه .

خالد : دعنا الآن نبتعد قليلا لئلا يرتاب بأمرنا أحد .
(يختفيان) .

نعمان : (يظهر من مختباه) ويل لهما عازمان على الفتك به . يا ليتك يا سرحان بقيت هنا . أأقول لمولاى إبراهيم ليأخذ حذره ؟ لكننى لا أجسر على ذلك فقد كان يجب علىّ أن أفتك بهما أو أصيح بالجند ليقبضوا عليهما . ما الذى منعنى من ذلك كأنى مغلول اليدين معقود اللسان ؟ ... هذا مولاى إبراهيم والكولونل سيف قد أقبلا . ما جاء بهما الآن ؟ أقد انتهيا من استقبال وفود التهنئة ؟

(يدخل إبراهيم باشا والكولونل سيف إلى بهو الخيمة)

إبراهيم : نعمان ، أنت هنا ؟

نعمان : نعم يا مولاى .

إبراهيم : أين صديقك سرحان ؟

نعمان : ذهب فى طلب القائد التركى يا مولاى .

إبراهيم : نعم .. نسيت أنه استأذننى فى ذلك فأذنت له ، اذهب يا نعمان إلى سرادق الاستقبال فقل لمن هناك إذا جاء أحد من زعماء الوفود يريد مقابلتى فليأتوا به هنا .

نعمان : سمعا يا مولاى (يخرج)

إبراهيم : (للكولونل سيف) أرأيت كيف جاءت وفود البلاد حتى ديار بكر تهنئنا وتقدم لنا ولاءها وطاعتها .

سيف : أجل يا مولاى . إن البلاد كلها أصبحت فى قبضة يدك .

إبراهيم : (يتنهد) ولكن هذه الدول الأثيمة أبت إلا أن تغلّ هذه اليد

سيف : سرّ عنك همومك يا مولاى فسوف تسير الأمور على ما تريد.

إبراهيم : ما شأن دول الغرب بنا تتداخل فيما ليس يحق لها من شؤون الشرق ؟ ليت شعرى متى يأتى يوم يعرفون به أنهم ليسوا أوصياء علينا وأنّا لسنا بأطفال قصّر ؟

سيف : إنهم أوجسوا منكم خيفة إذ رأوكم تقيمون هذا الشعب الهائل عدده ، المجيد تاريخه ، من هوان طال به تحت كلكل هذا الشيخ المريض .

إبراهيم : الشيخ المريض أحبّ إليهم من شعب فتىّ يحبط أطماعهم فى الشرق . آه ليت كتاب أبى لم يصلنى إلّا على باب اسطنبول فما دونها من هنا إلّا بضعة أيام .

سيف : هب كتاب أبيك لم يأتك بعد يا مولاى .

إبراهيم : أتدعونى يا سيف لأعصى سيّدى الوالى ؟

سيف : لا وعيشك يا مولاى ، ولكنها فرصة ربما لا تتاح غدا مثلها لا جتثاث القرحة من أصلها حتى لا تعلّ الجسم الذى قد شفاه الله بطب يديك . لن تأمن مصر على نفسها أو على أقطار العروبة ما دام هذا العنكبوت بأسطنبول يرى أن من حقه أن ينفث فى الوطن العربى خيوطه .

إبراهيم : وذئاب الغرب يا سيف ؟

سيف : إن الأمر الواقع كفيل بأن يجعلها تبصبص بأذنابها للأسد المصرى حينما يستوى على عرش الشيخ المريض .

إبراهيم : لكن كتاب أبى يقتضى أن لا أتقدم بعد كوتاهيا قيد شبر وإنى لن افتات عليه ولو زويت لى أقطار الدنيا .

سيف : ما الرأى إذن يا مولاى ؟

إبراهيم : أن أكتب إلى سيدى الوالى وأنتظر رده فى اقتراح مواصلة الزحف حتى اسطنبول .

سيف : ستضيع الفرصة يا مولاى إذا نجحت دول الغرب فى دفع مولاى الوالى لقبول الصلح .

إبراهيم : لأبى الرأى الأعلى . وله الأمر فى كل حال .

(يدخل عباس باشا)

عباس : سلام عليكم .

سيف : وعليك السلام .

إبراهيم : إنك لم تشهد الوفود يا عباس .. أين كنت ؟

عباس : ذهبت مع المطاردين لفلول العدو يا عم .

إبراهيم : ما نبؤهم يا عباس ؟

عباس : شردناهم فى تخوم الأرض فسالت مئات منهم على أطراف الرماح وهلك كثير من التعب والإعياء وطوحت بالباقين مناياهم فى أيدى العربان والأكراد .

إبراهيم : أبليت وغامرت يا ابن أخى .

عباس : منك يا عم تعلمت هذا الغمار .

إبراهيم : بارك الله فيك . إن الغمار لنصف النجاح وما أدرك المجد ذو إحجام وإن الموت لفى يد من أحياك.أوَ لم تظفروا برشيد باشا قائدهم ؟

عباس : لا والله يا عم .. لا ندرى كيف ابتلعته الأرض .

إبراهيم : ستلفظه لنا يوما يا بنىّ .

(**ينهض من مجلسه**) أشتهى أن أنام قليلا .. تعبت من استقبال وفود التهانى من كل صقع بعيد .

سيف : أجل يا مولاى إنك لفى حاجة إلى الراحة .

إبراهيم : سبحان الله .. إنى لأتعب من استقبال وفود التهنئة ما لا أتعب من قراع كتائب المعمعة .

سيف : تلك يا مولاى شيمة البطل .

إبراهيم : البطل يا سيف من لا يضيق ذرعا بشىء . ذاك أبى — حفظه الله — هو أقوى منى فى هذا السبيل .

سيف : إن العناية الإلـٰهية قد اختارتكما بطلين لدولة عظيمة أحدهما يشيدها ويعلى بناءها والآخر يسوسها ويرفع لواءها .

إبراهيم : (**يبتسم**) ما أحسن ما قلت يا سيف (**يدخل المخدع**)

عباس : هل حدثك عمى عن كتاب أبيه بوقف الزّحف ؟

سيف : نعم يا سمو الأمير .

عباس : وما عزمه ؟

سيف : أن يطيع أمر جدّك لا ريب .

عباس : عزيز هذا والله علينا وما دون اسطنبول سوى أيام معدودة .

سيف : ربّما يكون فى هذا يا أميرى خير .

عباس : آه يا كولونل سيف لو تدرى كم تشتاق نفسى إلى فتح اسطنبول !

سيف : كل شىء رهين بإبّانه يا صاحب السمو .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : بالباب فتى يتظلم من أحد الجنود ويرجو مقابلة الباشا .

عباس : دعه يرجع بعد قليل .. فالباشا الآن نائم .

سيف : لا يا سمو الأمير بل أشعره الآن . فقد أمر الباشا أن لا نتأخر فى رفع أية شكوى إليه فى أىّ حين .

عباس : ولو كان فى نومه يا كولونل ؟

سيف : نعم ولو كان فى نومه . هكذا أمر .

عباس : (**ينهض**) حسنا .. سأنبهه .

صوت إبراهيم من هذا ؟

عباس : أنا عباس .

صوت إبراهيم ادخل يا بنى .

(يدخل عباس الغرفة)

سيف : (**لنفسه**) لا يأتى هذا المتظلم إلا هذه الساعة ليزعج الباشا من نومه .

(يخرج إبراهيم باشا من الغرفة وخلفه عباس)

إبراهيم : (**للحاجب**) ادخل بالفتى يا غلام .

الحاجب : سمعا يا مولاى (**يخرج**)

سيف : ماكان لنا أن نوقظك يا مولاى لولا أمرك .

إبراهيم : خيرا صنعتما . لا بأس بتأخير النوم ولكن لا ينبغى أن يؤخر العدل .

(يعود الحاجب ومعه الفتى)

الفتى : (**متهيبا**) أيد الله مولاى الباشا .

إبراهيم : ممن تتظلم يا عبد الله ؟

الفتى : من جندى مدين لى بمجيديّين يا مولاى أتيت أطالبه فاعتدى بالضرب علىّ .

إبراهيم : ما اسمه ؟

الفتى : لا أعرف اسمه يا مولاى .

إبراهيم : أتعرف موضعه بالمعسكر ؟

الفتى : نعم يا مولاى الباشا .

إبراهيم : (**يتجه نحو باب الخيمة**) هلمّ إذاً أرنيه . واحرّ فؤاداه من هؤلاء الجنود ! أما علموا بعد أنّا ما جئنا فاتحين لهذه البلاد ولكنا جئنا منقذين (**لعباس والكولونل سيف**) اذهبا فاخطبا في جموع الجيش بأن يلزموا الاستقامة والحسنى في هذه البلاد ، فعار بنا أن نكون كمن أجليناهم عنها بالسيوف من القوم الظالمين .

عباس : سمعا يا عم .

سيف : سمعا يا مولاى .

(**يخرج عباس وسيف**)

إبراهيم : هيّا يا فتى أرنى الجندى الذى ظلمك .

الفتى : أيدك الله يا مولاى وأبقاك للعدل .

(**يخرج هو والفتى إلى خارج الخيمة**)

إبراهيم : امش قدّامى.(**لا يكاد إبراهيم يمشى بضع خطوات حتى يبرز له خالد ويظهر ثامر من خلفه**)ويل لك .. ماذا تريد ؟

خالد : (**يهم بطعن إبراهيم**) نريدك .

(**يسبقه إبراهيم ويدفعه في صدره دفعة ألقته على الأرض بعيدا**)

ثامر : (**ينطلق نحو إبراهيم ليطعنه من خلفه**) لن يخطئك الأجل اليوم.

(**يبرز نعمان فجأة فيعترض ثامرا فيصطرعان ويقعان على الأرض ويصاب نعمان بطعنة من ثامر وهو لا يعرف أنه أخوه**)

نعمان : تبًا لك يا ثامر .. تقتل أخاك من أمّك وأبيك !

ثامر : (**مدهوشا**) نعمان .. أخى ! ويل لك ، أنقذت قاتل أبيك من يدى .

نعمان : بل أنقذت من يمناك الأثيمة مولى العرب !

ثامر : (**يصيح**) النجاء يا خالد ! انج بنفسك ! .

(**يلوذ خالد بالفرار ـــ يحيط الحرس والجند بثامر ، ونعمان لا يزال قابضاً على ثيابه حتى قبضوا على ثامر**)

إبراهيم : (**يقترب من نعمان**) ويحك يا نعمان لماذا عرضت نفسك لهذا الخطر ؟

نعمان : (**بصوت ضعيف**) مولاى إنك وهبت الحياة لى فرددت إليك الهبة . وأعدت الحياة لأمة العرب فسيجزيك الله عنها حياة الأبد .

إبراهيم : (**لمن حوله من الحرس**) احملوه إلى غرفتى وهلموا الطبيب سريعاً .

(**يحمل نعمان إلى غرفة إبراهيم باشا**)

(**يحضر الطبيب**)

إبراهيم : بحياتى عليك يا طبيبى عالج هذا الفتى كما لو كنت تعالجنى .

الطبيب : سمعاً يا مولاى .. عسى ربى أن يوفقنى لرضاك .

إبراهيم : جعل الله فى كفيك الشفاء . (**يمضى الطبيب إلى الغرفة**) (**يقف إبراهيم باشا على باب الغرفة ينظر إلى الطبيب وهو يفحص جرح نعمان**) أهو مغمى عليه يا جناب الطبيب ؟ .

الطبيب : نعم يا مولاى .

إبراهيم : ما هذا النزيف ؟ ألا يمكن قطعه ؟

الطبيب : من تمزق فى بعض الشرايين يا مولاى . لا بد من إجراء عملية له .

إبراهيم : أيوجد أمل فى نجاته ؟

الطبيب : أرجو ذلك يا مولاى .

إبراهيم : بشرك الله بالخير . (**يقبل مساعدا الطبيب يحملان معهما بعض الأدوات الطبية وآلات الجراحة ويدخلان الغرفة**) أخبرنى حين يزول عنه الخطر .

الطبيب : سمعاً يا مولاى .

(**يعود إبراهيم باشا إلى البهو**)

إبراهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله .. مسكين نعمان !

عباس : (**يدخل مسرعا**) الحمد لله .. لعلك لم تصب بسوء يا عم .

سيف : (**يدخل أيضاً**) لا بأس عليك يا مولاى .

إبراهيم : لله الحمد .. لم أصب بسوء . ولكن جرح نعمان إذ وقانى بنفسه من كيد أخيه .

عباس : أخوه !

إبراهيم : نعم ، أخوه الذى يطلبنى بثأر أبيه الشيخ فهد النعسان .

سيف : أظل هذا الأثيم يلاحقنا من عكاء إلى هنا ؟ أخشى أن يكون ذاك الفتى المتظلم شريكا له فى الجريمة .

عباس : نعم يا عم لعل الأثيم هو الذى بعثه ليصطنع ذاك التظلم حتى يحملك على الخروج .

إبراهيم : ما أظن ذلك .. ولكن لا بأس يا عباس أن تبحث عنه خارج الخيمة فإن وجدته في انتظارى فإنه برىء وإن لم تجده فقد يكون هرب خوفاً من الشبهة .

عباس : سأفعل ذلك . (**يخرج عباس هنيهة ثم يعود**) قد وجدته ينتظر يا عم .

إبراهيم : إذاً فاذهب معه فانتصف له من غريمه الجندى ومر به أن يوجع ضرباً ليكون عبرة لغيره .

عباس : سمعاً يا عم . (**يمضى**) .

(**يدخل سرحان ومعه القائد التركى رشيد باشا وهو فى ملابس فلاح**)

سرحان : ها قد جئتك يا مولاى بقائد جيش القوم .

إبراهيم : أين هو .. ؟

سرحان : (**يشير إلى رشيد باشا خلفه**) هو ذا يا مولاى قد تنكر فى ثياب فلاح فدللت عليه .

إبراهيم : (**مستغربا يتأمل فى وجه الأسير فيعرفه**) رشيد باشا ، أهلا بالصدر الأعظم .. مرحبا بزميلى القديم (**يمد يده إليه ليصافحه فإذا القيد فى يديه**) لا والله لا ينبغى لرشيد باشا أن يحمل القيد .

رشيد باشا : لا تعطف علىّ يا إبراهيم باشا فإن الويل للمغلوب .

إبراهيم : تلك شيمة غيرنا . أما نحن فما ينبغى للمغلوب عندنا أن يذل .

(**يحل القيد عنه بيده**)

رشيد باشا : (**يظهر عليه الامتعاض**) شكرا لك يا إبراهيم باشا .

إبراهيم : أردت أن أقول لك تفضّل بالجلوس لولا أنه يؤلمنى أن أرى زميلى الكبير فى هذه الملابس . (**يلتفت إلى الكولونل سيف**) فهل لك يا جناب الكولونل سيف أن ترافق جناب الصدر الأعظم إلى نقطة المؤن ليرتدى ما يشاء من الملابس العسكرية الممتازة ثم تعودان معا إلىّ .

سيف : (**لرشيد باشا**) تفضل يا جناب الصدر الأعظم .

(**يخرج رشيد باشا والكولونل سيف**)

إبراهيم : (**ينظر إلى سرحان**) إنك لبطل يا سرحان ..

سرحان : (**يضحك**) ألأنى قبضت على هذا الفلاح يا مولاى ؟

إبراهيم : (**يبتسم قليلا ثم يقطب فجأة**) أما علمت يا سرحان ؟

سرحان : (**فى مظهر اهتمام**) بم يا مولاى ؟

إبراهيم : بالذى حدث ..

سرحان : ماذا حدث يا مولاى ؟

إبراهيم : صديقك نعمان ..

سرحان : نعمان .. أصيب بسوء يا مولاى ؟ هل جاء أخوه الوغد ؟

إبراهيم : نعم .

سرحان : الحمد لله إذ سلمت يا مولاى من كيد الأثيم فدمت لمجد العرب .

إبراهيم : كيف علمت يا سرحان أن هذا الأثيم سيجيء هنا ؟

سرحان : قد أنذرنى نعمان بذلك فى الصباح وألحّ علىّ أن أبقى معه لحراستك يا مولاى . فياليتنى أطعته ؟

إبراهيم : أكان نعمان يعلم ذلك من قبل ؟

سرحان : لا يا مولاى ولكن نعمان كان دائما يتوقع مجيء أخيه ويخشى عليك من كيده .. أخبرنى يا مولاى أقتل نعمان ؟

إبراهيم : كلا .. لا بأس عليه إن شاء الله .. هو تحت العلاج .

سرحان : أبقى الله مولاى .. أين هو الآن لأراه ؟

إبراهيم : الطبيب يعالجه ثم فى غرفتى . (**يهم سرحان بالذهاب إلى الغرفة**) (**يستوقفه**) لا .. ليس الآن يا سرحان .. حتى تتم العمليّة التى تجرى له (**يترقرق الدمع فى عين سرحان**) لا تبك يا سرحان فلا خوف عليه إن شاء الله .

سرحان : (**هامسا**) بعض فرحك يا سرحان .. فمن يدرى ...

إبراهيم : ماذا تقول ؟

سرحان : تذكرت كلمته لى فى الصباح إذ رآنى فرحا بالنصر فقال

لى : بعض فرحك يا سرحان فمن يدرى ماذا تضمر لنا الأقدار فى هذا اليوم ؟

إبراهيم : أما إنك لشديد الحب لنعمان .

سرحان : والله ما أحببته إلّا فيك يا مولاى وفى العرب . إنه ليحبّك حبّا شديدا .

إبراهيم : أجل .. لو لم يحبنى لما فدانى بنفسه . يا ليت أخاه يكون مثله .

سرحان : أين أخوه يا مولاى ألم تقتلوه ؟

إبراهيم : كلا ... هو مقبوض عليه حتى نرى رأينا فيه .

سرحان : أشتهى أن أرى هذا المجرم وأقتله بيدى . ائذن لى يا مولاى أن أذهب إليه .

إبراهيم : لا يا سرحان . سآمر بإحضاره هنا حتى تراه بين يدى . ادع لى أحد الحرس (**يخرج سرحان ويعود ومعه الحرسى**) (**للحرسى**) اذهب فأتنى بالمجرم المقبوض عليه .

الحرسى : سمعاً يا مولاى . (**يخرج**)

(**يدخل عباس باشا**)

إبراهيم : هل عاقبت الجندىّ يا عباس ؟

عباس : نعم يا عم .

إبراهيم : لقد أحسنت .

عباس : (**يدنو من سرحان**) أهنئك يا سرحان بنجاحك فى القبض على رشيد باشا .

سرحان : شكرا يا سمو الأمير .

عباس : أين هو الآن ؟

إبراهيم : ذهب إلى نقطة المؤن ليغير ملابسه .

عباس : (**في استغراب**) ليغير ملابسه ؟

سرحان : كأنّ سيدى الأمير لم يعلم أنه جاء هنا فى ثياب فلّاح .

عباس : (**يضحك**) وددت والله لو رأيته فى تلك الحال ؛ إذاً لضحكت ملء فمى عليه .

إبراهيم : إيّاك يا بن أخى أن يرى منك رشيد باشا شماتة أو سخرية به ، فهو رجل عظيم وزميل لعمّك قديم .

عباس : عفوا يا عم . لم أملك نفسى إذ سمعت هذا الخبر أن ضحكت ولن أصنع ذلك فى حضرته .

(يعود الكولونل سيف ومعه رشيد باشا وهو فى زى عسكرى فاخر)

إبراهيم : (**يتلقى رشيد باشا**) تفضل يا رشيد باشا ..

رشيد : شكرا .

إبراهيم : (**يقدم له عباس باشا**) هذا الأمير عباس باشا ابن أخى .

رشيد (**يصافح عباسا**) أهلا بك يا عباس باشا .

إبراهيم : تفضلوا (**يجلس الجميع . إبراهيم باشا ورشيد باشا فى صدر البهو**) (**لرشيد باشا**) أرجو أن تكون كما تحب يا جناب الصدر الأعظم .

رشيد : أنا عاجز عن شكرك يا جناب الباشا على كرمك .

إبراهيم : أستغفر الله . بل أنا العاجز عن شكرك على هديتك القيمة،

رشيد : إنك تشكرنى على شيء لم أفعله .

إبراهيم : (**يبتسم**) بلى .. إنك أهديتنى ... (**يلتفت إلى الكولونل سيف**) كم مدفعا يا كولونل ؟

سيف : اثنين وتسعين مدفعا يا مولاى .

إبراهيم : (**لرشيد**) وغيرها من الذخائر والمؤن . أفلا أشكرك عليها يا جناب الصدر الأعظم ؟

رشيد : (**كاظما غيظه**) إنها قليل من كثير عندنا يا جناب الباشا .

إبراهيم : إننا لا نستغنى عن ذاك الكثير . فلعل خلفاءك من القواد لا يبخلون علينا بالمزيد .

رشيد : إن خلفائى قد يستردّون الهدية التى تشكرنى عليها اليوم فلا أستحق هذا الشكر حينئذ .

إبراهيم : قد ورد فى الحديث الشريف أنّ العائد فى هبته كالعائد فى قيئه ، وإن محافظتى على كرامة خلفائك تمنعنى أن أمكنهم من إتيان هذا الأمر الذى لا أرضاه لهم .

رشيد : إن كنت لا ترضى لهم هذا فقد يطمعون أن تهديهم من قليل ما عندكم .

إبراهيم : إنا نضنّ بعتادنا القليل أن نهديه لغيرنا ولسنا كرماء مثلكم .

رشيد : صدقت . إنا لنظلمكم حين نطلب إليكم أن تهدونا من قليلكم وعندنا الكثير الذى لا يحصى .

إبراهيم : لعلك لا تخالفنى فى أنّ القليل الذى يضمّ إليه دائما من غيره أكثر من الكثير الذى يؤخذ منه دائما لغيره .

رشيد : إنا لا نكثركم بعتادنا فحسب ولكنا نكثركم أيضا بجيوشنا .

إبراهيم : إننا معترفون بأن جيوشكم أعظم من جيشنا عددا . وكيف نكابر فى هذه الحقيقة وقد لقيتمونا فى معركة أمس بثلاثة أضعاف جيشنا . وكان هذا حالكم معنا فى كل المعارك السالفة ؟ لا والله لا ننازعكم هذا الشرف أبدا .

(**يدخل الأمير بشير الشهابى ومصطفى أغا بربر**) .

بشير : السلام عليكم .

إبراهيم : (**ينهض من مقعده ليستقبل القادمين**) وعليكم السلام ... أهلا بالأمير بشير الشهابى .. أهلا بمصطفى بربر (**يصافحهما**) يسرنى أن أقدم إليكما جناب الصدر الأعظم رشيد باشا ضيفنا العزيز .

بشير ومصطفى : (**يصافحان رشيد باشا**) تشرفنا يا جناب الصدر الأعظم .

إبراهيم : تفضّلا .. مرحبا بكما .

(**يجلسان عن يمين إبراهيم باشا ورشيد عن يساره**)

بشير : لسنا ندرى أنهنىء أمير العرب بالنصر الباهر أم بالسلامة من كيد المغتال الأثيم ؟

مصطفى بربر : بل نهنئه بكلا الأمرين وباستقلال العرب .

بشير : بل نهنىء أنفسنا بسلامة أوطاننا فى سلامة منقذها الأكبر.

إبراهيم : بارك الله فيكما وفى أمثالكما من زعماء العرب فى فلسطين والشام فما أحرزنا النصر إلّا بفضل الله وفضل

تأييدكم لنا فى وقائعنا بالزراعة وعكاء ودمشق وحمص وبيلان .

بشير : إن أرواحنا — بله ما تحت أيدينا من أموال وضياع — بين يديك تتصرف فيها كيف تشاء .

إبراهيم : قد أتتنى رسائلكم المهنئة بانتصارات جيشى فكانت سلاما على قلبى . فعلام تجشمتم بعدها كل هذه الصعاب لتهنئتى ؟

بشير : لم نملك أنفسنا فرحا إذ سمعنا بنصرك فى قونيه أن شددنا إليك الرحال وجبنا لك الأميال لنشهد يوما لا مثيل له فى حياة العرب سيبقى على مر الأجيال .

مصطفى بربر : ولكنى آسف يا مولاى أنّ تهانئى ردّت إلىّ .

إبراهيم : أكانت مكتوبة باللغة العربية ؟

مصطفى بربر : لا يا مولاى الباشا بل باللغة التركية .

إبراهيم : أما للعرب لسان نعتز به يا مصطفى بربر حتى تكتب لى بلسان غيرهم ؟

مصطفى بربر : بلى يا مولاى ولكنى جريت على السنّة المتبعة من قبل .

إبراهيم : إنما كانت هذه سنّة متّبعة فى العهد البائد . ذاك يا مصطفى عهد قد تولىّ لغير رجوع .

مصطفى بربر : اعذرنى يا أمير العرب إذ غاب عنى أن أرعى هذا الأدب .

إبراهيم : قد يعذركم من يعلم كم طال هذا الهوان عليكم فأنساكم مجدكم ومآثر آبائكم . عجبا للعرب — عجبا والله يستدّر الأسى والعطف عليهم كيف يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ ويحهم يعيشون فى مصر ودمشق وبغداد ثم ينسون لغة المعرّىّ والمتنبّى وسيف بنى حمدان !

بشير : صدقت يا أمير العرب ، إن حياة الأمة بحياة لسانها.

(**يدخل الحرسى ومعه ثامر والقيد فى يديه**) .

إبراهيم : (**يشير إلى ثامر**) انظروا يا أصدقائى ... هذا النعسانىّ الذى أراد اغتيالى اليوم فوقانى منه أخوه.(**ينظر الجميع إليه مشمئزين**) هو ذا يا سرحان غريمك الذى طعن صديقك نعمان .

سرحان : (**ينهض من مقعده**) لو أذنت يا مولاى فقتلت هذا الأثيم بيدى .

إبراهيم : لا تعجل يا سرحان .. سنفصل فى أمره .

ثامر : (**ينظر إلى سرحان**) اقتلنى يا هذا إن شئت . فهو أحب إلى نفسى من هذا القيد المذلّ .

سرحان : عار على مثلى أن يقتل مثلك فى القيد ..

ثامر : إنّ مثلك لأحقر أن يستطيع قتل مثلى إلّا وأنا فى القيد .

سرحان : (**لإبراهيم باشا**) هل لك يا مولاى أن تأمر بإطلاق هذا المجرم الأثيم ليبارزنى بالسيف فأقتله شرّ قتلة ؟

إبراهيم : (**باسما**) ما يدريك أنى لا أعفو عنه يا سرحان ؟

سرحان : تعفو عن هذا الأثيم يا مولاى ؟

إبراهيم : نعم .. كما عفوت عن أخيه الذى حاول اغتيالى من قبل .

سرحان : لك يا مولاى أن تنزل عن حقك ولكنى لن أنزل عن حقى ، فقد أهان هذا الرجل شرفى . وعدلك يأبى أن يعفى عن هذا المسىء ويظلم هذا البرىء ، فدعنى أقتله أو يقتلنى .

إبراهيم : إنك لأعز علىّ من أن أمكنه منك .

سرحان : أتخشى أن يغلبنى هذا يا مولاى ؟

إبراهيم : كلا يا سرحان ، ولكنه رجل يتوقع القصاص فهو مستميت وأنت فى سعة عن مبارزته .

سرحان : لم أعد كذلك يا مولاى بعد أن تحدانى وأهاننى . فإن قتلته شفيت غليلى منه وأوردته ما استحق ، وإن كانت الأخرى فقد غسلت العار الذى ألحقه بى .

إبراهيم : إننا بعد فى حاجة لبلائك يا سرحان . أما كنت فى شوق لليوم السعيد الذى يتحقق فيه خلاص بلاد العرب ؟

سرحان : بلى يا مولاى .

إبراهيم : فها نحن أولاء نشارف ذاك اليوم السعيد .

سرحان : أجل .. سأموت قرير العين بتحقيق مولاى ذاك الرجاء وفى هذا ما يعزينى وكفى .

إبراهيم : نفسى لا تطوّع لى أن أفقد قوة مثلك .

سرحان : ستجود العرب بأرواحها فى سبيلك يا مولاى وفيها أىّ غنى لك من مثلى .

إبراهيم : كلا ... لا أستغنى عن أصغر رجل فى الجيش ، وأنت وسائر أفراد الجيش ملك لمصر وللوطن العربى الأكبر لا ملكى.(**يخرج الطبيب من الغرفة إلى البهو**) ما وراءك .. ؟ بشّرنا .

الطبيب : قد تمت العملية يا مولاى وزال عنه الخوف .

إبراهيم : الحمد لله ، هل أفاق من غشيته ؟

الطبيب : نعم يا مولاى وهو يسأل عن سرحان .

سرحان : الحمد لله .

الطبيب : ويسأل أيضاً عن ثامر .

ثامر : عنى أنا ؟ مسكين أنت يا نعمان (**يبكى**) .

سرحان : (**لثامر**) عنك يا هذا ؟ عن قاتله ؟

إبراهيم : عن أخيه يا سرحان .

سرحان : (**للطبيب**) أفى وسعى أن أراه الآن ؟

الطبيب : نعم فى وسعكما .. لكن لا تطيلا المكث لديه ولا تزعجاه (**ينطلق سرحان إلى جهة باب الغرفة ويتبعه ثامر ويتقدمهما الطبيب**) ادخلا بهدوء .

سرحان : (**يلتفت إلى ثامر**) فيم جئت هنا ؟

ثامر : لأراه يا سرحان معك .

سرحان : ألتقتله مرة أخرى ؟ لا والله لا تدخل .

ثامر : (**يريه القيد فى يديه**) كيف أقتله ؟ أما ترى القيد فى يدىّ ؟

الطبيب : لا تختصما فإن أعصابه لا تتحمل هذا الشجار .

نعمان : (**يسمع صوته من الغرفة**) سرحان ... ادخل يا سرحان ودع ثامراً يدخل معك .

سرحان : الحمد لله .. هذا صوت نعمان .

الطبيب : (**يفتح الباب**) ادخلا بهدوء .

(**يظهر نعمان مسجى على سريره فى الغرفة**)

سرحان : (**يقبل رأسه**) الحمد لله .. أنت بخير يا نعمان .

نعمان : نعم أنا بخير يا سرحان .

سرحان : لله الحمد .. لقد خشيت يا صديقى عليك .

نعمان : لو مت لكان قليلا لمولاى إبراهيم باشا .

سرحان : ولكن كان يكون كثيراً على صديقك سرحان .

نعمان : (**ينظر إلى ثامر**) وعلى أخى ثامر أيضا .. أقبل يا ثامر أقبل إلىّ .

ثامر : (**يتقدم إليه**) نعمان .. أخى .

نعمان : (**يشير بيده**) تعال ادن منى .

ثامر : (**ينحنى عليه فيقبله على جبينه**) أخى .. أخى .

نعمان : ماذا فى يديك .. ؟ القيد ؟ كثير هذا على ثامر . أين مولاى إبراهيم باشا .. أفى وسعه أن يجئ هنا لأراه ؟

سرحان : سأقول له كى يجئ (**يخرج من الغرفة**) .

نعمان : (**لثامر**) لكنك تستاهل أكثر من هذا .. كيف تروم أن تقتل منقذ قومك يا ثامر ؟

ثامر : سامحنى يا أخى .. قد ندمت على ما فعلت .

سرحان : (**لإبراهيم باشا في البهو**) يشتهي نعمان أن يراك يا مولاى .

إبراهيم : حبًا وكرامة . (**ينهض إلى الغرفة ويتبعه سرحان**) (**لنعمان**) لعلك بخير يا نعمان ..

نعمان : في ظل عطفك يا مولاى ... ألا تعفو عن أخى ثامر ؟

إبراهيم : لقد عزمت على أن أعفو عنه .

نعمان : أطال الله بقاءك يا مولاى .

إبراهيم : ولكن سرحان لم يرضه منى .

نعمان : (**ينظر إلى سرحان**) فيم يا سرحان ؟ أأنت شديد الوجد على ثامر ؟

سرحان : كيف لا وهو يقصد مولاى إبراهيم بسوء وقد كاد يودى بك ؟

نعمان : إنه قد ندم يا سرحان .. أما ترى دمعه يتحادر من عينيه ؟

سرحان : بل جبان يخاف الحكم عليه بما اجترحته يداه .

نعمان : كلا يا صديقي .. إن ابن فهد ليس بمن يتهيب وجه الموت .

سرحان : لقد شئته أن يبارزني بالسيف فإما أقتله أو يقتلني .

ثامر : (**لإبراهيم باشا**) مولاى .. ألا تحلّ قيدى ليبارزنى سرحان .

نعمان : تبالك يا سرحان ، أتريد أن تسيء إلىّ ؟ أما تعلم أنك إن بارزته فستفجعنى إما في صديقى أو فى أخى ؟ إنك تبغى مراغمتى يا سرحان .

سرحان : لا والله لا أبغى مراغمتك .

إبراهيم : حلّ يا سرحان وثاق أخيك فإنكما أخوان .

سرحان : سمعا يا مولاى (**يحل وثاق ثامر**) .

إبراهيم : وأنت فصافحه يا ثامر .

ثامر : سمعا يا أعفى الناس وأكرمهم . (**يمد يده إلى سرحان فيتصافحان**) (**لإبراهيم باشا**) شكرا يا معز العرب ومنقذهم ، والله لأفتدينك ويفتدينك بنو النعسان جميعاً معي ونكوننّ جنداً نقاتل تحت لوائك من قاتلت وأنى شئت إلى أن نذوق الموت .

إبراهيم : (**يتهلل وجهه بشرا**) بارك الله فيك يا ثامر (ينظر إلى نعمان فيراه يبكى) ما يبكيك يا نعمان ؟

نعمان : سرورى يا مولاى .

إبراهيم : استرح الآن .. أتم الله عليك الشفاء .

نعمان : وأدام لمولاى النصر والتأييد .

إبراهيم : (**لسرحان وثامر**) هلما معى ... دعاه يستريح (**يخرج إلى البهو**).

نعمان : (**لثامر**) أخى .. كن أمينا لمولاى إبراهيم .

ثامر : اطمئن يا نعمان .

نعمان : (**لسرحان**)والله يا سرحان ما فرحت كاليوم قطّ .

سرحان : سيزيد فرحنا يا نعمان حين يتم شفاؤك .

نعمان : أقبضت على القائد التركى ؟

سرحان : نعم .

نعمان : كيف ؟

سرحان : سأقص عليك خبره فيما بعد . أما الآن فاستريح .

(يخرج هو وثامر إلى البهو) .

نعمان : (**لنفسه**)نفذت مشيئتك يا سرحان ... ونفّذ القدر مشيئته .

(يدخل الطبيب إلى نعمان فيجس جبينه ويصلح الغطاء عليه)

الطبيب : أنت فى حاجة للراحة التامة فنم واسترح .

(يغمض نعمان جفنيه ويخرج الطبيب من الغرفة ويغلق الباب على نعمان وينصرف لسبيله)

إبراهيم : **(يشير إلى سرحان وثامر وقد جلسا معا يتحدثان)** انظروا إلى هذين الخصمين كيف صارا صديقين حميمين .

سيف : لا عجب يا مولاى فقد جمعهما حبك .

بشير : الحب الذى جمع العرب عليك .

إبراهيم : (**يلتفت إلى رشيد باشا**) ألا تعجب يا جناب الصدر الأعظم من حبهما لى وقد قتلت والد أحدهما ودمّرت بلاد الآخر إرضاء لسلطانك الناكر للجميل ؟

رشيد : إن ذكرت جناب السلطان اليوم بسوء فلربّ يوم كنت فيه يا جناب الباشا تقاتل معى تحت لوائه .

إبراهيم : لعلك تشير إلى أيامنا فى ميادين اليونان . أما تزال تذكرها ؟

رشيد : كيف لا ؟ تلك أيام خالدة .

إبراهيم : أيذكرها سلطانك أيضا ؟

رشيد : ومن ينساها وينسى بلاءك فيها وإقدامك ؟

إبراهيم : كلا ... بل نسيتم جميل أبى ونفستم عليه الفخار الذى حلّاكم به .

رشيد : أؤكد لك يا جناب الباشا أن مولانا السلطان إن ساءه ما ساءه من الباشا أبيك فإنه يقدر خدماتك قدرها ولا ينساها أبدا .

إبراهيم : إنما أنا سيف أبى أيّده الله وقد سلنى مرتين لإغاثتكم فى نجد وفى اليونان على أن يجزيه السلطان ولاية الشام ، فماذا كان جزاؤنا ؟ كان جزاؤنا أن حمل العلماء على الإفتاء بتكفيرنا وإعدامنا تمهيدا بذلك لانتزاع مصر نفسها من أيدينا .

رشيد : ليس ثم ما يبرر هذه المخاوف فلم يكن قطّ فى نية مولانا السلطان أن ينتزع مصر من أيديكم .

إبراهيم : (**يخرج طومارا من جيبه**) ما رأيك فى هذا الفرمان الذى وجدناه فى خيمة المشير حسين باشا الذى هزمناه قبلك ؟ (**يقدمه لرشيد باشا**) اقرأه يا جناب الصدر الأعظم تجد سلطانك يجعل ولاية مصر لذاك القائد المهزوم .

رشيد : (**ينظر إلى الفرمان ممتعضا**) إنه لم يصدر هذا إلّا بعد أن خلعتم طاعته وخرجتم لقتاله .

إبراهيم : ونحن لم نخرج لقتاله إلّا بعد أن نصحناه وأنذرناه فلم يجد فيه النصح ولا الإنذار . ولعله بعد أن ألغينا الفرمان الأول كتب لك فرمانا جديدا بولاية مصر . ألا ترينى يا جناب الصدر الأعظم هذا الفرمان ؟

رشيد : إن مولانا السلطان انتدبني للدفاع عن حوزته فخرجت نزولا على طاعته لا طمعاً في وسام أو فرمان .

إبراهيم : كان على السلطان أن يعطيك فرمانا بولاية مصر لتخلص فى قتال صاحبها كما فعل مع حسين باشا . ولعله لو فعل ذلك لكنت نجحت فى هزمنا .

رشيد : سترى أن هزيمتنا إن هى إلا هزيمة مؤقته وليس سببها ما ذكرت .

إبراهيم : أتعنى أن لديك هذا الفرمان ؟

رشيد : نعم .

إبراهيم : ألا ترينى إياه يا جناب الصدر الأعظم ولك عهد الله أن أعيده إليك .

رشيد : ليس لأحد يا جناب الباشا أن يطالبنى بهذا فى موقف كهذا الموقف .

إبراهيم : إنما أشفقنا على السلطان محمود مما أتعب به نفسه من كتابة الفرمانات التى لا تكاد ترحل عنه بضعة فراسخ حتى تلغى وحتى يستحى حاملها من إبرازها !

رشيد : كلا يا جناب الباشا ، إن فرمان السلطان لتكرمة لحامله .

فإن سرّك أن تراه فها هو ذا لتعلم أنى لست أستحى من إبرازه كما ذكرت .

(**يخرج الفرمان ويقدمه لإبراهيم باشا**)

إبراهيم : (**ينظر فى الفرمان**) يا له من فرمان عظيم .. لو نفذ . يعزّ علىّ والله أن أرى فرمانات السلطان تلغيها السيوف مرة بعد مرة.ليت شعرى لمن سيكون الفرمان التالى ؟

(**يعيده إلى رشيد باشا**)

رشيد : إن فرمان مولانا السلطان لا يضرّه أن يلغى مرة بعد مرة لأنه سينفذ فى النهاية .

إبراهيم : لقد رثينا لسلطان المسلمين من تعبه وضننّا بكرامته ، فإن أبى إلّا إتعاب نفسه وتعريض كرامته للهوان فليمض فى ذلك وليَنثر لنا ما بقى فى كنانته . ولعله لن يجد فيها أمضى من المشير حسين باشا مبيد الانكشارية أو أقوى من الصدر الأعظم رشيد باشا بطل الأبطال فى حروب موره !

رشيد : إنك تذكر كرامة سلطان المسلمين يا جناب الباشا وأنت تعرف من عرضها للهوان الذى أشفقت عليها منه .

إبراهيم : إن على سلطان المسلمين أن يحتفظ هو بكرامته بالعدل والإنصاف والوفاء بالعهود والمواثيق والنصح للمسلمين . وليس له أن يطالب الناس بحفظها له إذا هو قصّر فيما يجب عليه .

رشيد : الكلّ يعلم أن مولانا السلطان ــ أيده الله ــ لم يقصّر فى

واجبه ، فما قام بما قام به إلا خوفا من افتراق كلمة المسلمين .

إبراهيم : هذا والله عجيب . ألكى يجمع كلمة المسلمين استنجد بدول الغرب على المسلمين ؟ إذاً فلينعم السلطان بالا ، إن الدول الأجنبية ستحميه من سطوة أبناء الإسلام !

رشيد : إنما أراد الصلح بذلك لحقن الدماء .

إبراهيم : أبعد ألوف الجنود التى أفنيناها منكم ؟ هلا كان ذلك منه وفيكم دماء تحقن بعد ؟

رشيد : إن قوات السلطان لم تبد بعد ، وفى وسعه — لو شاء — مواصلة الحرب .

إبراهيم : فعلام استنجد الدول الأجنبية إذن لتحميه منا ؟

رشيد : إنما فعل ذلك لكى يحملكم على قبول الصلح .

إبراهيم : أتخيفوننا من دول الغرب ؟ ألا فاعلموا أننا لا نخاف أساطيلهم فى البحر ولا جيوشهم فى البر ، وقد رأيناهم فى اليونان كيف يقاتل أبناء وادى النيل . وبعد فإنى قد وقفت الزحف نزولا على أمر مولاى محمد على باشا صاحب مصر أيده الله . فإن شئت يا زميلى القديم أقمت بيننا فى عزة وكرامة وإن اخترت الرجوع إلى بلادك يا جناب الصدر الأعظم شيّعت معك من يوصلك إلى مأمنك .

رشيد : شكراً يا جناب الباشا . أما وقد خيرت فإنى أختار الأمر الثانى .

إبراهيم : إذاً فبلغ تحياتى لجناب السلطان وأخبره بأن الصلح سيعقد بيننا وبينه وسنرعاه ما رعاه ، فإن ينقض عهده فجنودى بالمرصاد ولن تقف الزحف حينئذ دون اسطنبول (**يلتفت إلى عباس باشا**) أليس كذلك يا عباس ؟

عباس : بلى يا عم . لن يصدنا عنها حينئذ حلفاؤهم الأجانب . إننا لم نكن فى يوم من الأيام بأقوى منا اليوم وقد هبّت أوطان العروبة قاطبة تحت العلم المصرى تسير إلى حيث يدعوها ماضيها المجيد .

إبراهيم : (**لرشيد باشا**) ها أنت يا جناب الصدر الأعظم قد رأيت بعينيك الروح العربية كيف سرت فى البلاد . فلا تحاولوا أن تطفئوا بأفواهكم جذوة أوقدتها يمين الله ! (**يلتفت إلى الآخرين**) يا بنى مصر والشام — يا بنى العرب أترضون أن ترجعوا للذل ؟

الجميع : معاذ الله ! معاذ الله !

سرحان : لأطيب من ذاك يا مولاى الموت .

بشير : إنّا قد خلعنا ذاك النّير عنا بكفّك يا بن محمد علي باشا ، أفنحمله فوق أعناقنا مرة أخرى ؟

عباس : كلا .. دون هذا وتنهدّ أسوار اسطنبول !

مصطفى بربر : (**يهتف**) يعيش إبراهيم باشا منقذ العرب !

الجميع : (**ما عدا رشيد باشا**) يعيش إبراهيم باشا منقذ العرب !

إبراهيم : (لرشيد باشا) أرجو يا جناب الصدر الأعظم أن تنصح رجال الحكم باسطنبول بأن يطردوا منذ اليوم من رؤوسهم فكرة استعباد بلاد العرب . قد أعتقها الرحمان فلن يستعبدها أجنبى بعد اليوم .

سيف : هذا حلم نابليون تحقّق يا مولاى !

إبراهيم : لا بل حلم إبراهيم وحلم العرب !

رشيد : قد لا يتحقق هذا الحلم غدا ، فغد بيد الله يا جناب الباشا .

إبراهيم : لا أجهل يا جناب الصدر الأعظم أن الغد بيد الله . ولكن الله القوىّ العزيز قد ابتعث الروح العربية من رمسها فهى باقية لن تموت . وإذا لم يتم على عهدى ما أردت من وحدتها العظمى فلسوف يحققها بعدى بطل من أحفادى .

« ستار الختام »

عمر المختار

أشخاص المسرحية

السيد عمر المختار	بطل المسرحية
ضرغام	شاب من المجاهدين
فاطمة	فتاة تبنّاها السيد عمر المختار وزوّجها لابن عمها ضرغام
المارشال بادوليو	حاكم طرابلس وبرقة
الفضيل بو عمر	من قوّاد السيد عمر المختار
يوسف بو رحيل	

شخصيات ثانوية

السيد الحسن السنوسى
المستجوب الإيطالى
مجاهدون
ضباط طليان

الفصل الأول

لما ضاق موسوليني بامر المجاهدين الطرابلسيين أعلن توحيد الإدارة في طرابلس وبرقة ، وعين الجنرال بادوليو حاكما عليهما فاستعمل هذا الشدة المتناهية للقضاء على السيد عمر المختار وجماعته الذين اتخذوا الجبل الأخضر مركزا لجهادهم الوطني . ولكن السيد عمر المختار قابل هذه الشدة بمثلها فوالى الغارات الليلية على معسكرات الطليان نقطهم ببسالة لا نظير لها حتى أن المجاهدين كانوا يتخطفون الضباط الطليان من نقطهم ويسوقونهم إلى الجبل . ولما أخفق بادوليو في القضاء على الثورة بالشدة جنح إلى المفاوضة ليقضي على السيد عمر من طريق اللين . ولم يسع السيد عمر إلا إجابته لما طلب ليقيم بذلك الدليل العملي على حبه للسلم .

والمشهد الذى نحن فيه في محل يسمي (سيدى رحومه) كان المارشال بادوليو حضر إليه ومعه وكيله سيشلياني وكثير من الضباط الطليان وبعض مشايخ العرب الموالين للطليان ـــ يقبل السيد عمر المختار ومعه المجاهد الفضيل بو عمر وهما على جواديهما .

السيد عمر : (يترجل) السلام على من اتبع الهدى . صباح الخير يا مارشال بادوليو .

بادوليو : صباح الخير يا سيد عمر . إنك جئت اليوم وحدك على غير عادتك معنا .

السيد عمر : أجل لأنى بلوتكم فوجدتكم موضعاً للثقة فلا خوف علىّ من غدركم .

بادوليو : (**يضحك**) ولكنك أخطأت هذه المرة يا سيد عمر .

السيد عمر : أخشى أن تكون أنت الذى أخطأت يا مارشال بادوليو .

بادوليو : لا ينبغى لك أن تثق بنا مرة أُخرى .

السيد عمر : إن هذا الدرس الذى تتكرم بإلقائه علىّ قد تعلمناه من حكومتك منذ ثمانية عشر عاما .

بادوليو : إنك فى قبضتنا الآن ، فخير لكما أنت وصاحبك أن تلقيا سلاحكما .

السيد عمر : (**يضحك**) بل أنت وجماعتك فى قبضتنا ، ولا بأس أن تبقوا بسلاحكم فإننا لا نخافكم . إن الفرق الأربع التى أحطتنا بها غدراً ولؤما منك قد أحاطت بها فرق أربع من المجاهدين ستبيدها إذا تحركت قيد شبر . فمرها بالتفرق والانصراف إذا شئت سلامتهم وسلامتك ومن معك .

بادوليو : إذاً فقد غدرت بنا يا سيد عمر وأنتم تفخرون بأنكم لا تغدرون .

السيد عمر : كلا لم نغدر بك وليس من شيمتنا الغدر . وإنما منعناك من الغدر لنتم المفاوضة التى دعوتنا إليها .

بادوليو : والآن ماذا تريد منى ؟

السيد عمر : أن تبعث أحد ضباطك ليفرق جنودك الذين أحطتنا بهم ويأمرهم أن يلقوا أسلحتهم لجنودنا المجاهدين .

بادوليو : وما يضمن لى أن جنودك لا يسوقون جنودنا أسرى إلى الجبل ؟ ونحن هنا ما يضمن لنا سلامتنا ؟

السيد عمر : كلمتى هى الضمان وليس لك أن تطلب ضمانا غيرها (**يأمر بادوليو أحد ضباطه بالذهاب لتفريق الجنود كما أمر السيد عمر**) اذهب يا فضيل فمر المجاهدين بأن يخلوا سبيلهم بعد أخذ الأسلحة التى معهم ثم عد إلينا وعشرة معك .

الفضيل : سمعا يا سيدى (**ينطلق الفضيل والضابط الإيطالى**)

السيد عمر : هيّا بنا نبدأ المفاوضة يا مارشال بادوليو — تفضلوا بالجلوس . ها هى ذى المقاعد قد أعدّت لنا .

بادوليو : ألا ننتظر حتى نرى ما يكون من جنودنا وجنودكم ؟

السيد عمر : (**يضحك**) لقد أصدرنا إليهم أمرنا ، ولا بد أنهم الآن قد أطاعوه فرجع جنودك خفاف الظهور وانصرف جنودنا مثقلين بأسلحتهم وأسلحة غيرهم — أعانهم الله !

بادوليو : إن لى الحق فى أن أتأكد من انصراف جنودك ، لأن المفاوضة يجب أن تتم فى جوّ حرّ لا ضغط فيه على أحد الجانبين .

السيد عمر : إنك تعلم أننى أنا الذى حمى هذا الجو الحر للمفاوضة وسأحميه كذلك إلى النهاية . وأنا مالك الموقف على كل حال ، وفى استطاعتى أن أسوقك ورجالك أسرى إلى الجبل ، ولا لوم علىّ فى ذلك لأنك أنت الذى بدأت بالغدر ونقض العهد . ولعلك أيضاً غير ملوم يا مارشال

بادوليو ، فالطليان كانوا ولا يزالون أمة الغدر ونقض العهود . ولكن ثق أننا لن نجزيك على فعلتك فلا تخش أن نوقع بك ما تستحقه بعد أن أمنّاك للمفاوضة معنا ، لتعلم أننا حريصون على مادعوتنا إليه من المسالمة والمفاوضة . واعلم أن قتل مثلك لا يفيدنا شيئا وبقاء مثلك لا يضرنا شيئا . والله لو أن سيّدك الدوتشي نفسه وقع في قبضتنا بدلا منك في مثل هذا الظرف لما حدثتنا نفوسنا بالقبض عليه ما دام يدّعي أنه يريد مفاوضتنا حتى ينتهي ما بيننا وبينه من الهدنة (**يعود المجاهد الفضيل وعشرة من المجاهدين معه والضابط الإيطالي**) هل امتثل الجنود أوامرنا وأوامر المارشال بادوليو يا فضيل ؟

الفضيل : نعم .

السيد عمر : أحسنتم ، تفضلوا خذوا مقاعدكم . أاطمأن الآن فؤادك يا مارشال بادوليو ؟ فقد بقي المجاهدون بعيداً عنا وعنك ليحرسونا ويحرسوك حتى يتم اجتماعنا .

بادوليو : إنني واثق بشرفك يا سيد عمر ، وإني لذلك طامع في أن ننتهي على شيء فيه مصلحتنا ومصلحتكم ومصلحة البلاد .

السيد عمر : هذا هو الدافع نفسه الذي جعلنا نجيبك إلى طلبك بالرغم مما بدا لنا من سوء نيتكم وعدم صراحتكم .

بادوليو : سنكون من اليوم فصاعدا صرحاء معك . ألا ترى معي يا جناب السيد عمر أن لا داعي إلى هذه الحروب التي

أهلكت الحرث والنسل وأوقعت البلاد فى الفقر والخراب .

السيد عمر : هذا السؤال يجب أن يوجه إليكم أنتم ، وعليكم وحدكم أن تجيبوا عليه . إن البلاد التى تذكرها هى بلادنا نحن العرب وأنتم الذين جئتم من بلادكم لتنتزعوا أراضينا من أيدينا ، ثم لم تكتفوا بذلك حتى أردتم القضاء على ديننا ولغتنا وشرفنا . فماذا كنتم تصنعون أنتم لو جاءت أمة إليكم لتصنع بكم ما تصنعون بنا ، أتسالمونها أم تحاربونها ؟

بادوليو : إن هذا يجرنا إلى كلام طويل فى تاريخ استعمار الأمم القوية للأمم الضعيفة ، وإن الحرب بيننا قائمة فعلينا أن نبحث فى معالجة الحالة الراهنة لا فى ذكر أسبابها الماضية .

السيد عمر : أجل ، إن الحرب بيننا قائمة ، ونحن لم نشك إليكم من طولها وسنمضى فى جهادنا إلى النهاية . وإنما أنتم الذين دعوتم إلى المفاوضة فأجبناكم إلى طلبكم . ونحن على أقوى ما يكون من الحال . وأحب أن أذكرك قبل كل شيء أن المفاوضة يجب أن تكون مع قوم يحاربون بشرف ويسالمون بشرف .

بادوليو : إننا ما زلنا نحاربكم بشرف .

السيد عمر : يسوءنى جداً أن أقول إننا نحارب منكم خصوما غير شرفاء بل ليست فيهم ذرة من الشرف .

بادوليو : إننى لا أحتمل منك هذا التعبير يا سيد عمر .

السيد عمر : لا يهمنى يا مارشال بادوليو أن تحتمل هذا أو لا تحتمله . إن أعمالكم فى هذه البلاد ناطقة بخلوكم من المروءة والشرف . لا أريد أن أحاسبكم على ما فعلتم بالمحاربين أو أسرى الحرب الذين يقعون فى أيديكم كيف تعاملونهم بنذالة ولؤم ، فإن حسابا كهذا أعلى من أن يطالب به قوم مثلكم . وإنما أحاسبكم على ما فعلتم بالعرب المسالمين لكم ، فقل لى يا مارشال بادوليو أمن الشرف ما فعله (**مزيتى**) بقبيلة العبيدات المسالمين لكم كيف جردهم من كل ما يمتلكون حتى انتزع حلى النساء من آذانهن ؟ أمن المروءة ما فعله (**لو بيلو**) مع عائلة إبراهيم العواقير وهم مسالمون أيضاً حيث أخذ منهم أربعين رجلا وقتلهم بالرصاص وأمر بالسيارات أن تمر عليهم فما زالت تدهسهم ذهابا وإيابا حتى اختلطوا بالتراب ؟ أمن الشهامة أن تلقوا بالمسلمين من علو أربعمائة متر من طائراتكم وتقولوا لهم (**دعوا نبيكم البدوى ينقذكم**) ؟ . أمن الشرف يا بادوليو أن تعتدوا على أعراض نساء المسالمين لكم وتأتوا من ذلك ما يرفضّ له جبين الشرف خجلا ؟ إن لكم أن تدّعوا كل شىء إلا شيئاً واحداً هو الشرف .

بادوليو : أظنك توافقنى يا جناب السيد عمر أننا لم نجتمع لنقدم حسابا عما كان منا ومنكم ، وإنما أردنا أن نضع حداً

تنتهى إليه الحروب التى منعت البلاد من العمران الذى جئنا من أجله.ولولا هذه الحروب لرأيت بلادك فى حالة أخرى لم تكن تخطر على بالك .

السيد عمر : صحيح أن البلاد كانت تكون فى حالة أخرى لولا هذه الحروب ، ولولا هذه الحروب أيضا لما رأيت فيها اليوم عربيا يمشى على وجه هذه الأرض ولرأيت فيها إيطاليين يسكنونها ويعمرون دور الوطنيين .

بادوليو : أنا لم أقصد هذا ، وإنما أردت العمران وكثرة المزروعات وتشجيع الصناعة والتجارة . وإنى أؤمل ألّا تنتهى هذه الجلسة حتى نتفق على ما فيه خير البلاد .

السيد عمر : إن حكومتك قد اتفقت مع الطرابلسيين وتعهدت لهم بشروط ، ولكنها لم تف لهم بشىء منها . فإن كان مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها فاللهم لا خير لنا فيها .

بادوليو : كلا لن يكون مصير هذه الهدنة مصير سابقاتها إذا توفر حسن النية منا ومنكم .

السيد عمر : لقد أمليت شروطنا وسلّمتها لوكيلك الجنرال سيشليانى فى الجلسة السابقة ، فهل لديك اعتراض عليها ؟

بادوليو : ألم تجروا أىّ تعديل فى تلك الشروط ؟

السيد عمر : كلا ، إن شروطنا ليست مكتوبة على الورق فحسب ، بل هى منقوشة فى قلوبنا جميعا ، فإذا سألت أى واحد من رجالى هؤلاء فسيمليها عليك كما أمليتها دون أن يخرم منها حرفا .

بادوليو : سيكون لك ما تريد فقد أرسلت هذه الشروط إلى حكومتي فوافقت مبدئيا على أهم ما فيها . وإنى مستعد لتوقيعها إلا أنى أشترط أن يكون ذلك في بنغازى .

السيد عمر : لا أرى أيّ معنى لهذا الاشتراط ، على أنه لا مانع عندى من ذلك فليذهب السيد حسن بن الرضا السنوسى لينوب عنى فى توقيعها .

بادوليو : لو وقّعتها أنت بنفسك كان ذلك أفضل .

السيد عمر : ما أنا إلا فرد من المجاهدين ، وإن أيّ واحد منهم يجزئ عنهم ما دام يعمل لصالحهم ، فإذا خان إخوانه المسلمين فليس حينئذ منهم فلا يلزمنا توقيعه . إن الديمقراطية هى جزء من حياة العرب لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها وأساس من أسس الإسلام لا يمكن الإخلال به .

بادوليو : أمّا إذا اخترت السيد الحسن السنوسى لتوقيعها فليكن ما أردت .

السيد عمر : (للحسن) إنك تحفظ الشروط يا بنىّ فوقّعها هناك بالنيابة عنى وعن إخوانك المجاهدين .

الحسن : سأفعل يا سيدى المختار .

(ينصرف المرشال بادوليو وجماعته ومعهم السيد الحسن السنوسى)

الفضيل : لا أكتمك يا سيدى أن فى نفسى شيئا من هذا الشاب ،

وأخشى أن يستميله الطليان إليهم فيوقّع لهم على شروط غير شروطنا .

السيد عمر : إني أشاركك في هذا الرأى يا فضيل ، بل أكاد أجزم بأنهم سيمنون الحسن بالباطل فينخدع لهم . ولكن دعهم يفعلوا ودعه يقبل عرضهم ليتلقوا بعد ذلك درساً يتيقنون به أن انحيازهم إلى أى خائن مهما كان نسبه ومنزلته فينا ليتخذوه مطية لهم ضد الأمة لن ينفعهم شيئا ولن يؤثر في مركز الأمة المجاهدة . وقصارى ما تفعل أنها تتبرأ منه.وتنبذه نبذ النواة .

الفضيل : ما أبعد نظرك يا شيخي وأسد حكمك . والله لا أعارضك بعد اليوم أبداً .

السيد عمر : كلا لا تفعل فلا غنى لى عن مشورتكم واعتراضكم . هيّا بنا إلى الجبل .

الفضيل : هيّا بنا (**يمضى السيد عمر وجماعته وهو يترنم بنشيدهم**)

كيف نخضع للطليانْ | أمةِ الغدر والنهبِ ؟
كيف يملكنا العُبدانْ | نحنُ أحرارَ العُربِ ؟
دون ذاك الموتُ الزؤامْ | دون ذاك الحربُ الزبونْ
حتى تشهد الأقوامْ | أننا لا نخشى المنونْ
إن نمت متنا شُهَدَا | أو نعشْ عشنا أحرارْ !

الرّدى ما أحلى الردى　　واقياً من حياة العارْ !
الجبـــال ميادينـنــــا　　ومعاقلنـــا الباتـــراتْ !
والجـــراح نياشيننـــا　　فوق أكتافنا لامعـاتْ !
لو تحاربنـــا الدنيـــا　　كلهـــا لا نباليهــــا
بسوى العــز لا نحيـــا　　أبـــداً بيـــن أهليهــــا

الفصل الثانى

بعد مضى سنتين من حوادث الفصل الأول

المشهد الأول

فى بيت السيد عمر المختار بالجبل الأخضر — بعد صلاة المغرب — يجلس الزوجان ضرغام وفاطمة بفناء البيت بينما كان السيد عمر المختار فى مصلاه يتلو القرآن كعادته .

فاطمة : تعال يا ضرغام فاجلس هنيهة معى .

ضرغام : حبّا يا بنت عمى وكرامة .

فاطمة : أما تذكّرك هذه الليلة بشىء ؟

ضرغام : ماذا تعنين يا فاطمة ؟

فاطمة : لقد مرّ على زواجنا الليلة عامان يا ضرغام .

ضرغام : عامان !

فاطمة : نعم فى مثل هذه الليلة زوّجنا سيدنا ووالدنا السيد عمر المختار .

ضرغام : صدقت يا فاطمة ، إنك لجيّدة الذاكرة .

فاطمة : من ذا ينسى تلك الليلة السعيدة ؟

ضرغام : أجل ، حيث امتلأ هذا الفناء بالمجاهدين من كل صوب فأخذوا يأكلون ويشربون ويترنمون بأغانيهم الرقيقة حينا والحماسية حينا.وسيدنا المختار يطوف عليهم ضاحكا مستبشرا يرحّب بهم ويلاطفهم ولا يبخل عليهم بالنكتة بعد النكتة يطرفهم بها .

فاطمة : يخيّل لى أن أبى يرحمه الله ـــ لو عاش لما فرح بليلة زواجى ما فرح السيد عمر المختار .

ضرغام : أجل ، إنه يعاملنا معاملة الأب الشفوق . ولو رأيته يا فاطمة وهو يدفع بى فى المعارك حينا ويقينى بنفسه حينا لرأيت كيف يربى الأسد الهصور شبله العزيز عليه .

فاطمة : إننى والله لا أدرى كيف أقوم بشكر هذا البطل الذى تبنآنى ورعانى وفتح لى بابه وصدره .

ضرغام : وأطلقنى من ذل الأسر ليجمع شملى بشملك ويجعلنى رجلا أجاهد معه أعداء الله وأعداء الوطن حتى ألقى الله عز وجل . صدقينى يا فاطمة أننى لم أذق لذة الحياة إلا فى كنف هذا الشيخ المجاهد . إنك تعلمين مقدار حبى لك وأنى إذا ودّعتك صباحاً لا أطمع في رؤيتك مساء وإذا ودّعتك مساء لا أطمع فى لقائك صباحاً ولكنى مع ذلك سعيد .

فاطمة : أما أنا يا ضرغام فإنى أموت وأحيا مرتين كل يوم . أموت عندما تخرجان للقتال خوفا عليكما ، وأحيا عندما أراكما أنت وسيدى المختار عائدين سالمين . ولا أدرى يا ضرغام متى ينتهى هذا الحال ؟

ضرغام : سينتهي هذا الحال يا حبيبتي بالنصر أو بالجنة !

فاطمة : إني والله لأشفق على سيدنا الشيخ وهو يقاتل ليلا ونهاراً صابرا محتسبا لله وقد بلغ من الكبر عتيا وماتت زوجته العزيزة عليه فلم يجد ساعة يذرف فيها دموعه عليها .

ضرغام : أعانه الله وقوّاه . لئن وهن جسمه فما وهن عزمه . وقد ظللت زمنا أرصد هذا الرجل لعلى أرى وهنا يدرك عزمه أو يأساً يتسرب إلى قلبه فى أحلك الساعات ، فما وجدت شيئاً من ذلك . غير أنه جزع ثلاث مرات : يوم واقعة (**كرسَّة**) حيث استشهد ذلك المجاهد العظيم الفضيل بو عمر . ويوم نقل الطليان العرب من حوالى الجبل الأخضر وهم ثمانون ألفا إلى (**العقيلة**) حيث يموتون بالجوع والمرض ليفصلوهم عن المجاهدين حتى يبقى المجاهدون فى عزلة تامة . والثالثة يوم احتلوا (**الكفرة**) معقل السادة السنوسية وارتكبوا فى أهلها الفظائع التى تقشعر من هولها الأبدان .

فاطمة : إى والله فهو يحترم السادة السنوسية احتراما عظيما .

ضرغام : أتذكرين يوم نقض طاعته السيد الحسن السنوسى ووقّع على شروط الطليان المهينة بدلا من الشروط التى كتبها السيد عمر وانتحى الحسن جانبا منه يحرّض الناس على الخروج عليه والولاء للطليان : فقد أشار عامة المجاهدين حينئذ على السيد عمر بقتله أو طرده من البقعة التى كان فيها فأبى السيد عمر حتى يئس الطليان من نجاح الحسن فساقوه ذليلا مهينا إلى

بنغازى وتفرق عنه جيشه الذى كان المجاهـدون يدعونه (**جيش الدقيق**) .

فاطمة : نعم رأيت السيد عمر يبكى ذلك اليوم رثاء للسيد الحسن .

ضرغام : هذا سواد شخص مقبل يا فاطمة .

فاطمة : يظهر لى أنه المجاهد يوسف بو رحيل .

ضرغام : لا بد أن أمراً هاما جاء به فى هذه الساعة التى يخلو فيها السيد عمر لتلاوة القرآن .

(يقبل يوسف بو رحيل) .

يوسف بو رحيل : السلام عليكم ورحمة الله .

ضرغام : وعليك السلام ورحمة الله .

يوسف بو رحيل : ضرغام وفاطمة .. كيف حالكما يا ولدىّ ؟

فاطمة : بنعمة الله يا عمّاه .

يوسف بو رحيل : أدام الله لكما السعادة . أين سيدنا الشيخ ؟

فاطمة : فى مصلاه .

يوسف بو رحيل : استأذنى لى على أبيك يا فاطمة .

فاطمة : مرحبا بك .. سأستأذن لك عليه .

(تدخل فاطمة)

ضرغام : هل من نبأ جديد يا عم ؟

يوسف بو رحيل : سأخبرك به فيما بعد .

(تعود فاطمة)

فاطمة : يقول أبى السيد تفضّل .

يوسف بو رحيل : شكرا لك .

(يدخل بو رحيل)

فاطمة : ترى ما تضمر لنا هذه الليلة من الحوادث . لا أكتمك يا ضرغام أني أحس بقلق لم أشعر بمثله قط من قبل .

ضرغام : هدئي روعك يا حبيبتي . إنما بك وحم الحمل . هذا الجنين الذي يضطرب في أحشائك يأبى إلا أن يوذيك ليشعرنا بأنه قادم إلى هذا العالم كي نستعد له ونحتفل به .

فاطمة : **(تبكي)**

ضرغام : ماذا يبكيك يا فاطمة ؟

فاطمة : **(تستمر في بكائها)** .

ضرغام : وحق أبيك المختار قولي لي فيم تبكين ؟

فاطمة : أخشى يا ضرغام أن لا ترى هذا القادم الصغير !

ضرغام : قولي خيراً من هذا يا فاطمة . بل سأراه وأفرح به إن شاء الله . وإذا كتب الله لي الشهادة قبل أن تراه عيني فستراه عين أبيك البطل ، وهو يا حبيبتي خير له مني .

(يخرج المجاهد يوسف بو رحيل من مصلى السيد عمر المختار)

يوسف بو رحيل : هل لي أن أقول لك كلمة يا ضرغام ؟

(ينفردان ناحية وتتوارى فاطمة)

يوسف بو رحيل : اسمع يا بني . قد بلغنا أن الطليان جادون في البحث

عن سيدنا الشيخ للقبض عليه ، وهم يعلمون أنه يخرج بنفسه لاستكشاف مواقع العدو ليلا كعادته . وقد ناشدته الليلة أن ينقطع عن هذا العمل ويكله إلينا لنقوم به دونه فلم يقبل وأصر على الخروج كعادته . وهو الليلة خارج إلى ناحية (**سلنطة**) ليرى مواقع العدو بها تمهيدا لغارة يشنها عليهم . فعرضت عليه أن أصحبه فلم يقبل وكلفني بمهمة أخرى . وإني لا أثق بأحد غيرك يا ضرغام فالزمه ولا تفترق عنه بحال من الأحوال .

ضرغام : سأفعل يا عم . والله لا يصلون إليه حتى أقتل دونه .

يوسف بورحيل : ذلك الظن بك يا بني . إلى اللقاء غداً إن شاء الله .. أستودع الله دينك وإيمانك .

ضرغام : أستودع الله دينك وإيمانك .. إلى اللقاء .

المشهد الثانى

نفذ قضاء الله ووقع البطل العظيم السيد عمر المختار فى أسر الطليان بعد أن قتل جواده وجرح هو واستشهد المجاهد الشاب ضرغام وكثيــر من المجاهدين ــ فحمل السيد عمر فى طيارة إلى (سوسه) ثم أركب البحر إلى بنغازى .

والمشهد الذى نحن فيه فى دار مجلس النواب فى بنغازى وقد اكتملت الهيئة العسكرية لمحاكمة البطل الأسير . وأحضر السيد عمر المختار من سجنه يرسف فى قيوده وعليه جلال المشيب حتى أوقف فى قفص الاتهام . ثم نودى عليه وبوشر فى استجوابه .

المستجوب : ما اسمك ؟

السيد عمر : عمر المختار .

المستجوب : ما تاريخ ميلادك ؟

السيد عمر : سنة ١٢٧٧ هجرية .

المستجوب : فى أى سنة ميلادية ؟

السيد عمر : هذا شأنك أنت فاحسب إذا شئت .

المستجوب : عمرك الآن ثلاث وسبعون سنة ؟

السيد عمر : نعم .

المستجوب : فى أى بلد ولدت ؟

السيد عمر : فى البلاد التى يريد الطليان أن يخرجوا أهلها العرب منها ؛ فى برقة .

المستجوب : هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟

السيد عمر : نعم أنا رئيس المجاهدين ضدها .

المستجوب : هل حاربت الدولة ؟

السيد عمر : نعم حاربت الدولة المعتدية على بلادى .

المستجوب : هل أمرت بقتالها ؟

السيد عمر : نعم لأن دينى يأمرنى بقتال المعتدين .

المستجوب : هل اشتركت فى القتال اشتراكا فعلياً ؟

السيد عمر : سلوا الناجين من ضباطكم وقوادكم وفلول جيشكم يخبروكم أننى لست ممن يأمر بشىء ولا يشترك فيه .

المستجوب : كم عدد المعارك التى خضت غمارها ضد الدولة ؟

السيد عمر : سلوا الجنرال جرازيانى يخبركم أن المعارك التى دارت بينى وبين جنوده فى مدة عشرين شهرا يبلغ عددها مائتين وثلاثا وستين معركة . أما ما قبلها من المعارك فى مدة عشرين سنة فلا أستطيع إحصاءها إلا إذا أحصيت فظائعكم ومخازيكم فى هذا الوطن .

المستجوب : كيف كنت تعامل الأسرى الإيطاليين ؟

السيد عمر : سلوا من أطلقنا منهم فى الهدنة يخبروكم أن العرب المجاهدين كانوا يؤثرونهم على أنفسهم فى المأكل والمشرب . وخير لكم أن تسألوا أنفسكم كيف كنتم تعاملون أسرى العرب .

المستجوب : هل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالى ؟

السيد عمر : نعم للقيام بنفقات الجهاد فى سبيل وطنهم ودينهم .

المستجوب : هل كنت بهذه الطريقة تبتز أموال الأهالى ؟

السيد عمر : إن دولتكم التى عرضت على مليون فرنك هدية منها لى ومعاشاً شهرياً قدره خمسون ألف فرنك فرفضتهما هى التى ابتزت أموال البلاد وصادرت أملاك أبنائها .

أصوات : كفى استجواباً ! قرروا عليه حكم الإعدام .

الرئيس : قد ثبتت إدانتك وحكمت عليك المحكمة بالإعدام .

السيد عمر : الحمد لله هذا ما كنت أتوقعه من دولة لا تعرف الشرف العسكرى ؛ ولو كنت أمام أمة أخرى غيركم لرجوت أن تعاملنى معاملة أقل لؤماً من هذه كما عومل الأمير عبد القادر الجزائرى وأحمد عرابى باشا المصرى والأمير عبد الكريم المراكشى .

الرئيس : أى ميتة تختار لتنفيذ حكم الإعدام عليك ؟

السيد عمر : أشكركم على هذا الكرم . إن كان لى الخيار فأنى أوثر أن تلقونى من علو أربعمائة متر من إحدى طائراتكم وتقولوا لى دع نبيك البدوى ينقذك .

الرئيس : يؤسفنا أن لا نجيبك إلى طلبك هذا ولكن ستعدم بشنقاً .

السيد عمر : هذا أشبه بكم وأخلق بشهامتكم :

ولست أبالى حين أُقتل مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

الرئيس : هل لديك ما تقول فوق ما تقدم ؟

السيد عمر : نعم ، رسالة صغيرة تحملونها عنى إلى زعيمكم الدوتشي .

الرئيس : قلها ما هى ؟

السيد عمر : إن الدوتشي يحلم بإعادة الإمبراطورية الرومانية ، فقولوا له إن الطليان غير الرومان ، فإن كان جاداً فيما يريد فليلتمس له أمة غير الطليان جديرة بتحقيق حلمه العظيم !

الرئيس : ولكن الدوتشي الذى تذكره هو من صميم الطليان .

السيد عمر : فقولوا له إذن إنه لا خير فيه لنفسه ولا لأمته !

الرئيس : أتقول هذا وأنت تساق إلى الإعدام ؟

السيد عمر : تستطيعون إعدام شيخ طاعن فى السن مثلى ، ولكنكم لن تستطيعوا إعدام الروح التى يتجدد شبابها بتجدد الأيام .

فارس البلقاء

أبو محجن الثقفي

أشخاص المسرحية

أبو محجن الثقفي	فارس البلقاء
سعد بن أبي وقاص	أمير الجيش والقائد العام
خالد بن عرفطة	نائب القائد العام
القعقاع بن عمرو	
المغيرة بن شعبة	
سلمى بنت أبي خصفة	زوج سعد (يسمع صوتها)

غلمان لسعد يقومون على خدمته.

الفصل الأول

فى القادسية فى موضع بين العتيق وبين الخندق ، حيث دارت معارك القادسية بين فارس والمسلمين — فى يوم أغوات وهو اليوم الثانى من أيام القادسية ، يقف المسلمون أمام قصر قديس وهو حصن كان للفرس هناك ، اتخذه سعد ابن أبى وقاص مقاماً له لمرضه بعرق النسا والدماميل ، وعجزه بذلك عن الحركة فضلا عن الركوب والخروج إلى ساحة القتال . فبقى سعد بالقصر يدير دفة القتال من شرفة القصر الدنيا ، حيث يطل على الميدان وهو مكب على وجهه وعلى صدره الوسائد من علته وضعفه . وقد اختار خالد بن عرفطة العذرى ليقوم مقامه فى مباشرة القيادة العامة ، وأمره بالوقوف تحت القصر ، قريبا من سعد ، وسعد يصدر إليه أوامره فينفذها خالد ويبلغها للقواد بواسطة مبلغين أقامهم صفوفا ثلاثة فى اتجاهات مختلفة أحدها إلى الميمنة ، والثانى إلى القلب ، والثالث إلى الميسرة ، فكان هؤلاء أداة الاتصال بين القواد فى مقدم الصفوف وبين القائد العام . وكان المسلمون قد لقوا فى اليوم الأول وهو يوم أرماث بلاء كبيرا من العدو ، وكادت الدائرة تدور عليهم ، لو لم

ينجح جماعة من أبطالهم فى قطع وضن فيلة العدو وتعطيلها بذلك عن العمل .

يظهر على المسرح الجزء الأمامى من قصر قديس وهو حصن قليل المناعة مدور البناء ، له شرفة مدورة مثله ، تتصل بها عن يمين المسرح غرفة تقيم بها سلمى بنت أبى خصفة زوجة سعد ، وتحت هذه الغرفة محبس يسجن فيه أصحاب التبعات ، وله شباك من الحديد يشرف على ميدان القتال .

يرى سعد على سريره فى الشرفة ، مكبا على وجهه ، معتمدا بيديه على حافة الشرفة ، مطلا على ساحة القتال ، وعنده ثلاثة من غلمانه يتولون شأنه ، ويقومون بخدمته . ويرى خالد بن عرفطة واقفاً على مصطبة تحت القصر تدور حيث دار القصر . وأمامه ثلاثة من الرجال هم أوائل الصفوف الثلاثة للمبلغين .

سعد : (**لأحد غلمانه**) انزل يا غلام فأوصل القعقاع بن عمرو إلىّ .

الغلام : سمعاً يا مولاى .

(ينطلق موجها إلى يسار الشرفة حيث يغيب)

سعد : (**يرفع بصره إلى السماء**) اللهم هذه فارس قد خرجت بجموعها وفرسانها فإن لم تنصرنا اليوم عليها هلك المسلمون ! اللهم انصر المسلمين وثبّت أقدامهم ! اللهم فأنجز لنا وعدك !

(يعود الغلام ومعه القعقاع بن عمرو)

القعقاع : السلام عليكم يا أمير الجيش .

سعد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .. أهلا بك يا قعقاع .. اعذرني إذ لم أقم إكراماً لك ، فإني كما ترى عليل لا أستطيع الحركة .

القعقاع : (**يصافح سعدا**) لا بأس عليك يا سعد . أبشّرك بستة آلاف قادمين على إثرى مددا لك .

سعد : مرحبا بكم .. لقد جئتمونا أحوج ما نكون إليكم . فكيف تركت إخواننا بالشام ؟

القعقاع : تركتهم وقد دخلوا دمشق .

سعد : أو قد فتح الله دمشق للمسلمين ؟

القعقاع : نعم وهم ماضون لفتح سائر بلاد الشام .

سعد : الحمد لله وحده صدق وعده ! (**لخالد بن عرفطة تحت القصر**) يا خالد بشّر المسلمين بأن الله قد فتح لإخوانهم دمشق وهزم الروم .

خالد : يا معاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

المبلغون : يا معاشر المسلمين : أبشروا فقد فتح الله لإخوانكم دمشق وهزم الروم !

أصوات الجموع : الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : (**للقعقاع**) إنى لأرجو أن يهزم الله لنا هذا العدوّ الأشد كما هزم أولئك .

القعقاع : إن شاء الله .

سعد : أين أميركم خالد بن الوليد ؟

القعقاع : قد استبقاه أبو عبيدة عنده بالشام .

سعد : ألم يأمره أمير المؤمنين بإرسال خالد إلينا ؟

القعقاع : ورد عليه كتاب أمير المؤمنين بإرسال الجيش العراقىّ مدداً لك ولم يذكر فيه خالداً بالتعيين ، فرأى أبو عبيدة استبقاءه عنده لقتال الروم .

سعد : غفر الله لأبى عبيدة : هلا أمدنا بسيف الله فنحن أحوج إليه منهم . لقد لقينا من هؤلاء وفيلتهم أمس بلاء كبيرا . فلمن عقد إمارتكم ؟

القعقاع : لليث عاديا ... لابن أخيك هاشم بن عتبة .

سعد : نعم ابن الأخ هو . ولكن أين هاشم من سيف الله ؟ لقد نظر أبو عبيدة لنفسه إذ ضنّ بخالد علىّ .

القعقاع : أما إنك لو شهدت بلاء ابن أخيك فى قتال الروم لسرّك أن تراه ولو كان بعين واحدة !

سعد : أو قد أصيب فى عينه ؟

القعقاع : نعم ، فقئت عينه يوم اليرموك .

سعد : فى سبيل الله ما لقيت عينه ! عوّضه الله خيراً منها ! متى يقدم هاشم ؟

القعقاع : ما إخاله يصال إلينا بمعظم الجيش قبل صباح الغد . فقد سرّحنى قبله فى ألف أمرتهم فتقطّعوا أعشاراً كلما بلغ عشرة

منهم مدى البصر سرّحوا في آثارهم عشرة . وهأنذا جئتك في العشرة الأولى .

سعد : أأردت بهذا تنشيط المسلمين ؟

القعقاع : إي والله وإرهاب العدو .

سعد : لله درك يا قعقاع . والله إني لبقدومك أفرح مني بقدوم ابن أخي . رحم الله أبا بكر . لقد قال فيك قولا تحسد عليه إلى الأبد : صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل ، لا يهزم جيش فيهم القعقاع .

القعقاع : لعل الله يجعلني جديراً بثناء خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يلتفت إلى جنود المسلمين في الميدان**) ما لهؤلاء وقوفا ؟ ألا يبتدئون القتال ؟

سعد : إنهم قد سوّوا صفوفهم ، وأمرت الشعراء والخطباء أن يحرضوهم على الثبات وصدق اللقاء ، ويذكروهم بأيام الله وأيام العرب ، وهم ينتظرون التكبيرة الثالثة وتلك جيوش العدو ما تزال ترد كراديسها وتنثال جموعها .

القعقاع : سنجعلها لسيوفنا جزرا إن شاء الله . فأين فيلتهم ؟

سعد : لعلهم لا يقاتلوننا بها اليوم ، فقد قطع المسلمون وضنها أمس .

القعقاع : أما والله لئن عاد بها رستم اليوم لأجعلنّ للمسلمين منها مخرجا ، ثم لأزعجنّ خيوله بفيلة العرب !

سعد : وما فيلة العرب ويحك ؟

القعقاع : الإبل نجللها ونبرقعها بالسواد !

سعد : لله أبوك ! قد عرفتك ذا بسالة فى الحرب ، فإذا أنت أيضا ذو حيلة فيها وكيد . عمن تلقيت هذا ويحك ؟

القعقاع : عن خالد بن الوليد تلقيت ، ومن بحره استقيت.

سعد : إنه البحر لا تكدّره الدلاء .

القعقاع : أفلا تأذن لى فى الخروج إلى الناس ؟

سعد : أجل قد حبستك عنهم ، فاخرج مباركاً للمسلمين فيك .

(يخرج القعقاع من حيث دخل)

صوت فى الميدان : أيها الناس : احمدوا الله على ما هداكم وأبلاكم يزدكم ، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم ، وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر ، والفلوات التى لا يقطعها الأدلة .

سعد : (لخالد) من هذا يا خالد ؟

خالد : هذا قيس بن هبيرة الأسدىّ .

سعد : ما أحسن ما قال !

صوت آخر : أيها المسلمون : صدقوا قولكم بفعل . فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ، وآمنتم بنبيه ورسله فلا تموتُنّ إلّا وأنتم مسلمون . ولا يكونن شىء أهون عليكم من الدنيا ، فإنها تأتى من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم . انصُروا الله ينصركم ؟

سعد : من هذا ؟

خالد : هذا بسُر بن أبى رُهم الجُهَنىّ .

سعد : أحسن والله القول .

صوت آخر : يا معشر العرب : إنكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان القوم ودهاقينهم . وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون به غداً شَيْناً على العرب !

سعد : أهذا عاصم بن عمرو !

خالد : أجلْ .

سعد : لافضّ فوه !

صوت آخر : يا معاشر العرب : قاتلوا للدين والدنيا ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعِدّتْ للمتقين . وإن عظّم الشيطان عليكم الأمر فاذكروا الأخبار عنكم غداً بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

سعد : ما أبلغه : من هذا ؟

خالد : هذا ربيع بن البلاد السَّعْدى .

صوت آخر : يا معاشر العرب : لقد سمعت رستما يقول : أكل عمر ابن الخطاب كبدى ! وإن الحديد لفى أيديكم ، وإن الإيمان لفى قلوبكم ؛ فحقّقُوا بهما قول رستم ، ثم أروه أن أمير المؤمنين لن يكتفى بكبده حتى ينال كبد بلاده أجمع فيطعمها خالصة للمسلمين . إنكم إذ تقاتلونهم إنما تنتظرون ميراثكم وموعود ربكم إذ قال عز وجل :

ولقد كتبنا في الزَّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها عبادى الصالحون !

سعد : هذا ورب الكعبة صوت المغيرة بن شعبة .

خالد : أجل إنه هو . وهذا أبو محجن الثقفيّ قد أقبل يتهادى في الناس .

سعد : لعله يريد أن ينشدهم شعراً .

صوت أبو محجن : أيها الناس : لقد سمعتم هؤلاء فأصغوا الآن لقولي .

أصوات : هات ما عندك : قل يا أبا محجن !

صوت أبي محجن : (يترنم)

إذا متُّ فادفنِّي إلى أصل كرمـــــة
تروِّى عظامى بعد موتى عروقها !
ولا تدفننـــى فى الفــلاة ، فإننـــى
أخــاف إذا ماتُّ أن لا أذوقُهـــا !

أصوات : اسكتْ أخزاك الله ! ألهذا دعوتنا أن نسمع ؟

سعد : (يغضب) ما إخال الشقى إلا سكران .. أسكتوه وائتونى به .

خالد : أسكتوه وائتونى به ! (**يظهر ثلاثة من الشرطة أمام خالد وهم يسوقون أبا محجن أمامهم وهو يترنح ترنح الثمل**) اصعدوا به إلى الأمير .

(**يمثل أبو محجن أمام سعد وحوله الشرطة**)

سعد : ويلك يا أبا محجن . أما تستحي أن تلقى على المسلمين فى موقف كهذا أشعاراً فى الخمر ؟

أبو محجن : إنما هي أبيات هجمتْ على خاطرى فترنمت بها . وأنت تعلم أن لو اشتهتْ عينى رؤية الخمر لما وجدتُ إليها سبيلا فى هذا القفر . فلا أقل من أن أتغنى بها .

سعد : هلا حرّضت المسلمين بشعرك على الجهاد كما فعل الشماخ والحطيئة وعبدة بن الطبيب وأوس بن مغراء ؟

أبو محجن : ما يسرنى أن أكون مثلهم . إنما هؤلاء قوّالون وليسوا بفعّالين . إنهم لا يبلون فى الحرب بلائى ولا يغنون غنائى .

سعد : ما ضرك لو جمعت بين الحُسنَيَيْن ، فأُريتنا خيرك ، وكففت عنا شرك .

أبو محجن : إنى لأعلم بنفسى منك يا سعد ، لقد حاسبت نفسى فوجدت أن خيرى يرجح على شرى .

سعد : (**يحد النظر إليه**) ما هذا الترنح فى عِطفيك ؟ أجئتنى شارباً يا فاسق ؟ هلمّ ادنُ منى .

أبو محجن : من الخير أن لا تشم فمى يا سعد ، فربما تجد فيه عبق الخمر من طول ما شربتها فى العهود السالفة .

سعد : دعنى من اعتذاراتك .. ادنُ منى ! (**يدنو أبو محجن من سعد**) (**يشم رائحة الخمر من فيه**) لقد والله شربتها اليوم ولم تتب ، بعد أن حُدِدْت فيها مرة بعد مرة .

أبو محجن : إى والله لقد باكرتها اليوم مشعشعة صافية ! وستقيم علىّ الحدّ فأشربها غداً وتقيم الحد فأشربها بعد غد !

سعد : ويلك ما أجرأك على الله ! أتعتقد حِلَّها !

أبو محجن : (**مستعظما**) أعتقد حلّها ! لا والله لأن تتخطفني الطير ، أو تنزل على رأسي صاعقة من السماء أهونُ عليّ من أن أحِلّ ما حرّم الله . ولكني أرجو مغفرة ربي سبحانه ، ورحمته التي وسعت كل شيء فلا تضيّقها يا سعد .

سعد : والله لأقيمن عليك الحد ، ولأتمنّها ثمانين جلدة سُنَّةَ عُمر !

أبو محجن : والله لا أبالي أربعين أو ثمانين أو أكثر . فإني لا أخاف الحد ، بل أستحبّه كفارة لي ترحض عني الإثم وتمحو الخطيئة . بيد أني أنشدك الله يا أمير الجيش أن تؤجل ذلك حتى أشهد حرب اليوم ؛ فإن أكرمني الله بالشهادة ، فلن يضرني معها كأس شربتها مُترعة ! وإلّا ففي غد متّسع لإقامة الحدود .

سعد : لقد شغلتني وشغلت المسلمين لحاك الله ! والله لأحبسنّك إلى الغد (**للشرطة**) خذوه إلى المحبس !

أبو محجن : لا يا سعدُ سعدَ بني وهُيب ، يا خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبلعني ريقي !

سعد : قد فعلت فماذا أنت قائل ؟

أبو محجن : أعفني من الحبس ودعني أقاتل مع المسلمين ، فما ينبغي لفارس مثلي أن يحبس اليوم ، ثم اصنع بي بعد ذلك ما تشاء .

سعد : لا أعفيك من الحبس حتى تعاهدني أن لا تعود إلى الخمر أبداً .

أبو محجن : لا أرضى لنفسي الكذب على ربيّ وعلى الناس . أما التوبة عن الصهباء فلا !

سعد : إذَنْ فإلى المحبس !

أبو محجن : إذَنْ تحرم المسلمين بلاء سيفي .

سعد : لا حاجة بالمسلمين إلى سيفك . اين أنت من القعقاع بن عمرو وطليحة بن خُويلد والرِبّيل بن عمرو وحمّال بن مالك وأبى ثور عمرو بن معد يكرب وأولئك الأبطال ؟ (**للشرطة**) اخرجوا به إلى المحبس فقيّدوا يديه ورجليه (**يسوقه الشرطة أمامهم حتى يظهر في المحبس شباكه الحديدى والقيد في يديه**) (**لخالد**) ماذا جد عندك يا خالد ، فقد شغلني هذا الثقفي الشقي ؟

خالد : إن الناس قد استبطأوا تكبيرتك الثالثة . وتلك جموع العدو قد تكاملت صفوفها ، وذاك رستم كبير القوم قد خرج . وما أرى إلّا أنهم سيبدأوننا القتال .

سعد : ألم تأت فيلتهم ؟

خالد : ما أحسبهم يقاتلون بها اليوم ، ولو أرادوا ذلك لقد أخرجوها .

سعد : الحمد لله . كفى الله المؤمنين شرها . إنك يا خالد لحديد البصر فأشِرْ لي إلى الجهة التي فيها رستم .

خالد : (**يشير بأصبعه**) انظر هذا النحو ، أترى ثمّ شيئاً يخطف البصر ؟

سعد : (**يحدق**) نَعَمْ ويحك .

خالد : فهو ذاك محمولا فوق سريره ، على رأسه التاج يلمع .

سعد : فلأكبر الثالثة إذاً .. آذِنهم بها يا خالد .

خالد : إن الأمير مكبر الآن تكبيرته الثالثة فإذا كبّر فليبرز أولو النجدة من الفرسان أمام الصف ، فإنما أول القتال المبارزة .

سعد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

خالد : (**بأعلى صوته**) الله أكبر !

أصوات المسلمين : الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : إن فارس تأخذ بالفأل ، وستختار أشجع فرسانها جميعاً ليكون أول مبارز . فما رأيك يا خالد أى فرساننا نختار ليكون أول مبارز ؟

خالد : أرى أن تختار عمرو بن معديكرب .

سعد : أنعِم وأكرِمْ بأبى ثور فارس العرب .

خالد : آمره بذلك ؟

سعد : نَعَمْ مره فليكنْ أوّل مبارز — ولكن مهلًا يا خالد ! هذا فارس قد ندر أمام الصف يطلب البراز فمن هو ؟

خالد : هذا القعقاع بن عمرو التميميّ .

سعد : دعه فقد اختاره الله وهو أعلم بما يختار . أشهد أن أبا بكر قال فيه إنه فى الجيش خير من ألف رجل .

خالد : ليت شعرى من يبرز له من فرسان العدوّ ؟

سعد : إن صدق ظني فسيبرز له ذو الحاجب بطل يوم الجسر ، فهو أشدهم وطأة على العرب ، وأكبرهم هيبة فى صدورهم منذ مقتل أبى عبيد وسليط وأصحابهما فى وقعة الجسر .

خالد : ها قد برز فارسهم المَعلم كأنه سارية !

سعد : سلهم من هو .

خالد : (**لمن يليه من مبلغى القلب**) سلوا من فارس العدو .

سعد : ها هما يجتلدان .. اللهم ثبّت القعقاع .

خالد : يتصاولان ... سترهما الغبار ... هوى أحد الفارسين !

سعد : اللهم اجعله العلج !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

خالد : أجل ، هو العلج الذى هوى .

أصوات المسلمين : الله أكبر هلك ذو الحاجب ! يالثارات أبى عبيدة وسليط !

سعد : أجل ، يالثارات أبى عبيد وسليط !

خالد : هذان فارسان آخران قد برزا للقعقاع .

سعد : ويحه .. أيقاتلهما وحده ؟

خالد : لا فهذا الحارث بن ظبيان قد انضم إليه .

سعد : اللهم انصر القعقاع وصاحبه .

خالد : هوى فارسان منهم .

سعد : اللهم اجعلهما العلجين !
أصوات المسلمين : الله أكبر ! هلك البيرزان !
سعد : ذاك القعقاع وحده ، أين الحارث بن ظبيان صاحبه ؟
خالد : رجع إلى الصفّ . أسمع القعقاع يرتجز .
صوت القعقاع : (**يدوى كالرعد**)
قد علِمتْ مصقولـة الترائبْ
ذات العيون السود والحواجبْ
أنِّـىَ سمّ البطـل المحاربْ
حملتُ بالسيف على ذى الحاجبْ
فأصبح اليوم كأمس الذاهبْ !
والبيـرزان رعتـه بالقـاضبْ
ماضى الغرار كالقضاء الغالبْ !
سعد : إيه يا قعقاع ! إيه يا فارس تميم !
خالد : لم يبرز له أحد من القوم .
صوت القعقاع : يا أبطال المسلمين ! مكانكم ! أمهلونى حتى أقتل من صناديدهم عدد أيام الشهر ثم ابرزوا لهم .
خالد : ما أرى القعقاع إلا طالباً للشهادة .
سعد : لا تخش عليه .
صوت القعقاع : يا معشر فارس : إن ذا الحاجب كان أقواكم فقتلته ، ولستُ بأقوى قومى ! فإن شئتم أن تأخذوا بثأره منى فليبرز لى أبطالكم واحدا بعد واحد .

خالد : لقد طلب والله أمراً عظيما .

سعد : لا عظيم على فارس تميم !

خالد : هاقد برز له فارس من العدو .

صوت القعقاع : أيها المسلمون عدوّا من ثلاثة !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

سعد وخالد : ثلاثة ...

صوت القعقاع : أيها المسلمون ! والله ليقتلنّ أخوكم الثلاثين ، فعدّوا ولا تكبّروا إلا عند تمام العدّة . فإنما الثلاثون من هؤلاء كواحد منكم !

سعد وخالد : (**يعدان بأصابعهما**) أربعة ... خمسة ... ستة ... سبعة ... ثمانية .... تسعة ... عشرة ... احد عشر .... اثنا عشر ... ثلاثة عشر ... أربعة عشر ... خمسة عشر ... ستة عشر ... سبعة عشر ... ثمانية عشر ... تسعة عشر .

صوت القعقاع : أعرنى سيفك يا طليحة !

خالد : خان القعقاعَ سيفه .

سعد : لن يخونه قلبه !

خالد : أعاره طليحة سيفه .

سعد وخالد : عشرون ... واحد وعشرون ... اثنان وعشرون ... ثلاثة وعشرون ... أربعة وعشرون ... خمسة وعشرون ... ستة وعشرون ... سبعة وعشرون ... ثمانية وعشرون .

خالد : لم يبق إلا اثنان من التكبير .

سعد : أجَلْ .. اثنان .

سعد وخالد : تسعة وعشرون .

خالد : انتحى القعقاع جانبا ..

سعد : عجباً .. ماله ؟ أتراه أصيب ؟

خالد : لا أدرى .

صوت القعقاع : يا معاشر فارس . يا جنود كسرى ! إنه لم يبق لكم إلا بطل واحد ليقتلنى . فخير لكم أن تدعوا كبيركم رستما يخرج لى ليحول بينى وبين قسمى الذى حلفته !

خالد : لله أبوه ! يطلب رستماً للمبارزة . ليت شعرى أيبرز له رستم ؟

سعد : ما أظنه فاعلًا .. إن كبرياءه تمنعه دون ذلك .

خالد : هذا فارس منهم قد برز .

سعد : أهو رستم ويحك ؟

خالد : كلا فذاك تاج رستم باق حيث كان . وإنما هذا رجل عربىّ الزىّ والهيئة .

سعد : لعله ترجمانهم ليقول شيئاً .

صوت الترجمان : يا معاشر العرب ! إنه ليس بينكم رجل هو كفءٌ لرستم . فإن أبيتم إلا أن تروا بأسه فليخرج له أميركم من قصره .

سعد : أنصف والله رستم .. ويح ابن أبي وقاص ! قبّح الله يوماً أدعى فيه للنزال فلا أجيب ! يا ليتنى متُّ قبل هذا اليوم !

صوت القعقاع : أبلغ رستماً عنا أننا معاشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً مثلكم ، فكلنا عند كلنا سواء . وإنما نتفاضل بالتقوى والفعال . أما أنت يا رستم فإنما طلبت أميرنا للخروج لأنك تعلم عذره ، ولو أقلّت أميرنا فرسه لأجابك إلى ما سألت !

خالد : أقبل الفارس الذى بعثه رستم .

صوت القعقاع : هلم يا فارس ! لقد وقيت رستما بنفسك . أيها المسلمون هذا تمام الثلاثين فكبروا !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

صوت القعقاع : يا أبطال العرب ! قد أبرّ الله قسم أخيكم فهلمُّوا الآن فنازلوا أعلام العدوّ . اخرج يا عمرو يا بن معد يكرب !

صوت عمرو : سميعا دعوت ! أنا أبو ثور أنا فارس العرب !

خالد : هذا أبو ثور قد خرج كأنه جبل على فرس !

سعد : إيه يا أخا الصمصامة !

صوت عمرو : أنا ابن معد يكرب المرهوبُ
قد علمَت ريحانةُ اللَّعوب
أنى إذا ما وهت القلوبُ
خوفاً ، أكول للعِدا شرُوبُ

خالد : ها قد برز له فارس جسيم لم أر مثله عظما .
سعد : قد عرف القوم من يختارونه للقاء أبي ثور .
خالد : أجلْ اختاروا له جبلا مثله .
صوت عمرو : يا معاشر العرب . أرأيتم هذا الثور الضخم ؟ انظروا ماذا أصنع به .
خالد : عجباً ! لم يحمل عمرو سيفه بيده .. إنما بيده الترس وحدها .
سعد : أبالترس وحدها يلقى هذا الهولة ؟
خالد : شدّ عليه عمرو ... أهوى العلجُ عليه بسيفه ... اتقى عمرو ضربته بترسه ... الله أكبر ... وثب إلى العلج على جواده ... أقله عالياً بيديه كأنه جبل على جبل على فرس ! رمى به إلى الأرض !
أصوات المسلمين : الله أكبر !
سعد : (يبتسم) قاتلك الله يا أبا ثور !
صوت عمرو : أيها المسلمون ! اصنعوا كما أصنع واذبحوهم هكذا .
خالد : احتز عمرو رأسه .. ، رمى به فوق صفوف العدو !
سعد : والله ليهيجنّ العدو بما صنع . آذنهم بالتكبيرة الرابعة يا خالد .
خالد : أيها المسلمون . سيكبر أميركم الرابعة فإذا كبر فاحملوا على القوم ، والله ناصركم .
سعد : (بأعلى صوته) الله أكبر !
خالد : (بأعلى صوته) الله أكبر !

أصوات المسلمين : الله أكبر !

خالد : حمل المسلمون والتحم القتال .

سعد : (**يدعو**) اللهم انصر المسلمين ! اللهم نصراً كنصر الشام ! ليت البلقاء تحملني . ويح لي مكبا على وجهي كالشيخ الهرم ! كيف ترى الناس يا خالد ؟

خالد : الميمنة غالبة على ميسرة العدو .

سعد : لله در بني أسد . هناك البطل طليحة بن خويلد .

خالد : وهذا القلب بخير .

سعد : غفر الله لبني تميم ! هناك القعقاع بن عمرو ! أما ترى الميسرة تتقهقر يا خالد ؟

خالد : أجلْ ، تلك خيول العدو تريد بها الإحداق .

سعد : مر طليحة فلينجد الميسرة .

خالد : (**لمن يليه من المبلغين**) صلني بالميمنة ــ صلني بني أسد ــ صلني بطُليحة بن خُويلد ــ أدرك الميسرة يا طليحة ،

سعد : لله در القعقاع ! هذه خيوله ترد تترى فرقة بعد فرقة . ليت هاشماً قد جاء بجيشه . اللهم اطو له الأرض طياً ، اللهم أمدد به المسلمين !

خالد : ها قد أقبل طليحة ورجاله من خلف الميمنة .

سعد : غفر الله لك يا طليحة ، لئن ادّعيت النبوةَ يوما وكفرت لقد أبليت اليوم بلاء يمحو ما تقدم من ذنبك . (**لغلمانه**) حوّلوني إلى الجانب الآخر .

(يحمل الغلمان سرير سعد إلى الجانب الآخر من الشرفة حيث يغيب عن الأنظار)

(يمشي خالد علىٰ المصطبة حتى يتوارى ليكون قريبا من سعد)

(يتحرك السجف الذى علي نافذة الغرفة التى فيها سلمى زوجة سعد)

صوت سلمى : وامثنّياه ! ولا مثنّى للخيل اليوم !

أبو محجن : **(متطلعا من شباك المحبس)** صدقت والله : لا مُثَنّى للخيل اليوم ولا أبا محجن لها . بربّك يا سلمى يا بنت آل خصفة ويا زوج سعد إلّا ما أصغيتِ لما أقول .

صوت سلمى : من أنت يرحمك الله ؟

أبو محجن : أنا أبو محجن الثقفىّ .

صوت سلمى : ماذا تريد ؟

أبو محجن : أفى الحق يا سلمى أن أنظر إلى المسلمين وهم يقاتلون العدو وبأس العدو عليهم شديد فلا أقاتل معهم ؟

صوت سلمى : فما يمنعك من ذلك ؟

أبو محجن : يمنعنى هذا القيد فى يدىّ وهذا الأدهم فى رجلىّ وهذا الباب الحديد المقفل !

صوت سلمى : أفى المحبس أنت ويحك ؟

أبو محجن : نعم ، فهل لك يا سلمى إلى خير ؟

صوت سلمى : وما ذاك ؟

أبو محجن : تأمرين غلامك فيخلى عنى ويعيرنى البلقاء فرس سعد.

صوت سلمى : أتريد أن تهرب من الحبس ؟

أبو محجن : لا والله الذى لا إلـٰه إلا هو ما الهرب قصدى ، وإنما أريد القتال مع المسلمين . ولك علىّ عهد الله وميثاقه لئن سلّمنى الله لأرجعن إليك حتى أضع رجلى فى القيد حيث أنا .

صوت سلمى : هلا سألت أمير الجيش ذلك ؟

أبو محجن : قد والله سألته وألحفتُ فلم يقبل منى .

صوت سلمى : إذاً فأنا عن قبول ما سألت أعجز . والله ليغضبنّ سعد إن فعلت .

أبو محجن : لن يدرى سعد بشىء من أمرى .

صوت سلمى : قد يتفقدك فلا يجدك حيث أنت .

أبو محجن : إن سعداً لفى شغل شاغل عنى فأنّى يتفقدنى ؟

صوت سلمى : كلا لا أجسر على ذلك .

أبو محجن : آه إن لم تفعلى فويح أبى محجن أبد الدهر !

(يترنم بصوت حزين مؤثر)

كفى حزناً أن تردىَ الخيل بالقنا
وأتركَ مشدوداً علىّ وثاقيا
إذا قمتُ عنّانى الحديد ، وغُلّقتْ
مصاريعُ من دونى تصم المناديا !
وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوة
فقد تركونى واحداً لا أخاليا

لقد شف جسمي أن أظلّ بمحبس
أعالج قيداً مصمتاً قد برانيا
فالله دريّ يوم أترك مُوثقاً
وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت
ويُعْمِل غيري يوم ذاك العواليا
سُليمى ، دعيني أرو سيفي من العِدَا
فسيفيَ أضحى ويحه اليوم صاديا!
دعيني أجُلْ في حومة الخيل جولة
تفرّج من همي وتحيي فؤاديا
دعيني أخُضْ ذاك الغبار ، فإنه
سلامٌ على قلبي ، شفاءٌ لما بيا
يقطّع قلبي حسرةً أنْ أرى الوغى
ولا سامعٌ صوتي ولا من يرانيا !
وأن أشهد الإسلام يدعو مغوّثاً
فلا أنجد الإسلام حين دعانيا
فياليتني لم أشرب الخمر مرة
حياتي ، فمنها قد لقيتُ الدواهيا
نهاني عنها الدين دين محمد
فياليتني لم أعصيه إذ نهانيا
ولله عهدٌ لا أخيس بعهده
لئن فُرجت أن لا ازور الحوانيا

سليمى ، أغيثينى ، فقد مزق الأسى
فؤادى ، وبل الدمع منى ردائيا
سليمى اصنعى لله ما انتِ أهله
يكنْ لك رب العرش عنى جازيا
ولله عهد حين أنجو من الردى
أعيد لرجلىّ الوثاق مكانيا

صوت سلمى : ما أراك إلا صادقا فى مقالك يا أبا محجن . ولكنى أخشى أن يتفقدك فلا يجدك فى المحبس فيعلم أنى أمرت بإطلاقك .

أبو محجن : قد قلت لك يا بنت آل خصفة إن سعداً لفى شغل عنى فلن يتفقدنى ، وإن خشيت ذلك بَعْدُ فمرى غلامك فليكن فى المحبس مكانى حتى أعود .

صوت سلمى : ولكن الناس سيرونك فى الميدان فيعرفونك .

أبو محجن : كلا لن يعرف أحد من أنا ، فسأغير هيئتى ، وألوث عمامتى على وجه لا يعرفنى فيه حتى ابن عمى .

صوت سلمى : أما هذا فنعم ... (**تقول لغلامها**) انزل يا غلام فأطلق سراح هذا الرجل واحلل انت مكانه حتى يعود .

(**يظهر الغلام عند أبى محجن فيحل القيد عنه**)

أبو محجن : شكر الله سعيك يا زوج سعد . ألا تأمرين الغلام بأن يعيرنى البلقاء ؟

صوت سلمى : أما البلقاء فلا والله لا أعيرك إياها .

أبو محجن : إذَنْ آخذها من الإصطبل .

صوت سلمى : أنت وذاك .

(يخرج أبو محجن من المحبس ويبقى الغلام فيه حيث ينعس فينام)

(يعود سعد إلى مكانه الأول من الشرفة ، ويتبعه خالد فيقف على المصطبة حيث كان)

خالد : الله أكبر .. من هذا الفارس المنطلق ؟ أحسبه هاشماً ابن أخيك .

سعد : كلا ما هذا بهاشم بن عتبة .

خالد : فمن هو إذاً ؟

سعد : لا أدرى والله من هو ... عجباً ، القد قدُّ أبى محجن والفرس فرسى البلقاء .. ولكن أبا محجن فى الحبس ، والبلقاء فى الإصطبل .

خالد : ها هو ذاك انطلق إلى الميمنة .. يحمل على ميسرة العدو .. يقصف أبطالهم قصفاً ؟

سعد : إيه أبا محجن ! أستغفر الله .. أبو محجن فى الحبس ... أين انطلق الآن ؟ لم أعد أراه .

خالد : ستره الغبار .

سعد : ما أحسبه إلا استشهد رحمه الله !

خالد : بل هو ذاك انحسر عنه الغبار — لا بل الفرس وحدها عُرياً ليس عليها راكب !

سعد : عُرياً ! أكان ركبها عرياً ؟ لعله زل عن ظهرها .. إلم يجد فى المسلمين من يعيره سرجا ؟

خالد : قد وثب عليها فارس فركبها .

سعد : أهو الفارس الأول ؟

خالد : لا أدرى ... ها هو ذا انطلق مقبلا .

سعد : يظهر لى أنه الفارس الأول .

خالد : الحق معك .. هو الفارس عينه .

سعد : هذا والله أبو محجن .. أستغفر الله .. أبو محجن فى الحبس.

خالد : دار خلف المسلمين .

سعد : دخل فى غمار القلب .

خالد : هو ذاك برز بين الصفين ... طفق يلعب برمحه وسلاحه .

سعد : ما أمهره لاعباً بسنانه !

خالد : تتحاماه الأبطال ... يحمل على القوم ... يقصفهم قصفاً منكرا .

سعد : قد شغلنا هذا الفارس عن غيره . سل عنه من هو . تلك كندة دونه .. أرسل السؤال إلى الأشعث بن قيس .

خالد : (**لمن يليه من المبلغين**) صلنى بالقلب .. صلنى بكندة .. صلنى بالأشعث بن قيس .. سله من فارس البلقاء ؟

سعد : أين اختفى فارس البلقاء ؟ لا أراه .

خالد : أحاطت به كوكبة من فرسان العدو .

سعد : أهو وسط تلك الحلقة المفرغة من الفرسان ؟

خالد : أجل .. هو ثمّ .. واأسفاه عليه !

سعد : أين أولو النجدات ؟ أين عمرو بن معد يكرب ؟ أين شرحبيل بن السِّمط ؟ أرسل إليهما لينجداه .

خالد : (**لمن يليه من المبلغين**) صلنى بالقلب .. صلنى بمذحج وبكندة.أين أنت يا أبا ثور وأين أنت يا شرحبيل ؟ أنجدا الفارس المحاط به !

المبلغ الأدنى : (**لخالد**) يقول الأشعث إنه لا يعرف فارس البلقاء وليس هناك من يعرفه .

سعد : عجباً ! لا يعرفه إحد . لو كانت الملائكة تباشر القتال لقلت إنه ملك !

خالد : إن يكن من الملائكة فلا خوف عليه من إحاطة الفرسان .

سعد : أما يزال قائماً بينهم ؟

خالد : إن فرسه تدور بينهم كالخُذْروف وهو يدفعهم عن نفسه. ها هو ذاك أبو ثور قد تقدم لنجدته .

سعد : أجلْ . ذاك أبو ثور . ومن ذاك خلفه ؟

خالد : شرحبيل بن السِّمط ورب الكعبة !

سعد : لله أبوه ! لينتزعنّ هذا الشاب رئاسة قومه من يد الأشعث ابن قيس .

خالد : أما إنه لأحبُّ إلى كندة من الأشعث .

سعد : وأحبُّ إلى الله ورسوله منه .

خالد : دخلا فى زحمة الفرسان ... انفرجت الحلقة .

سعد : الحمد لله !

خالد : أبو ثور يضرب بسيفه فيقد الفرسان وأفراسهم معهم .. والآخران يطاعنان بالرماح !

سعد : لم يبق إلا ثلاثة فرسان .

خالد : هم أبطال الإسلام قد انكشف عنهم العدو !

سعد : إذاً لم يُصَبْ فارس البلقاء !

خالد : نعَمْ .. لم يُصَبْ بسوء . ها هم قد رجعوا إلى صفوف المسلمين .

سعد : اللهم اغفر لعمرو بن معد يكرب .. اللهم اغفر لشرحبيل ابن السِّمط .. اللهم اغفر لفارس البلقاء !

خالد : ليت شعرى من فارس البلقاء هذا ؟

سعد : مازلتُ فى شك أمره أن لا يكون أبا محجن الثقفىّ . (**لأحد غلمانه**) انزل إلى المحبس يا غلام فانظر هل ترى به أحدا ؟

(**يمضى الغلام**)

خالد : ها هو ذا فارس البلقاء قد دار خلف المسلمين أيضاً يقصد الميسرة .

سعد : لو لم يكن أبو محجن فى الحبس لأقسمت أنه هو .

خالد : برز إلى ميمنة القوم يلعب برمحه وسلاحه .

(**يعود الغلام**)

سعد : (**للغلام**) ما عندك .. هل وجدته فى المحبس ؟

الغلام : نعم وجدته نائما يغطّ .

سعد : هل وجدت الباب مقفلاً كما كان ؟

الغلام : نعم .

سعد : قبحه الله ! يغطّ نائماً والمسلمون فى بأس شديد !

خالد : حمل العدو حملة عنيفة .. انظر .. ! هؤلاء الثلاثون ألفاً المسلسلون قد زحفوا على القلب فزحزحوه .

سعد : أجل .. لا حول ولا قوة إلّا بالله . أين أبطال تميم ؟ أين القعقاع بن عمرو ؟

خالد : إنهم لا ريب يريدون هذا القصر لمكانك يا سعد . ألا ترى الأفضل أن نبرح هذا الموضع ؟

سعد : (غاضباً) ثكلتك أمك يا خالد ! أتدعونى للفرار ويلك ؟ كلا والله لا أبرح موضعى هذا حتى أقتل ! اللهم الطف بالمسلمين .. اللهم نصرك ووعدك ! أين القعقاع ؟ سل عنه ويلك أين هو ؟

خالد : (لمن يليه من المبلغين) صلنى بتميم .. سل عن القعقاع بن عمرو وأين هو ؟ (لسعد) هذه فرسان العدو يا سعد قد اخترقوا الصفوف من جانبى المسلمين !

سعد : اللهم حمى الوطيس .. اللهم وعدك ونصرك !

خالد : إن تميما لا تعرف أين غاب القعقاع !

سعد : يرحمه الله ! أتراه استشهد ولم يروه ؟ واهاً عليك يا فارس تميم !

خالد : هذان فارسان من العدو قد أقبلا نحونا منطلقين !

سعد : جرّد سيفك يا خالد وصح بالمُسلمين النجدة .

خالد : (بأعلى صوته شاهراً سيفه) النجدة النجدة يا أبطال المسلمين ! القصر القصر !

صوت : لبّيك يا سعد ! أنا علباء بن جحش !

سعد : هذا علباء بن جحش العجلى ... كرّ الفارسان عليه .

خالد : شدّ علباء على أحدهما فأطار رأسه ... أوّاه ! طعنه الآخر في بطنه فخرّ على الأرض !

سعد : قام علباء فرمي بحربته على الفارس فأنشبها في حلقه .

خالد : ويح علباء ! أما تراه قد انتثرت أمعاؤه في الأرض وهو يجمعها !

صوت علباء : رحم الله مسلماً أعانني فأدخل لى أمعائى !

خالد : هذا رجل من المسلمين قد أدخل له أمعاءه .

صوت علباء : أرجــو بهــا من ربنــا ثوابــا
قد كنت ممــن أحسن الضرابــا

سعد : أجلْ والله الجنّة !

خالد : ما أثبت جنانه ! ركض إلى الميدان ويد على بطنه وأخرى تحمل السيف .

سعد : اللهم ارحم علباء بن جحش !

خالد : ما العمل يا سعد . ما تزال جنود العدو تتقدم وجنودنا تتقهقر في القلب والميسرة .

سعد : تلك الكتيبة المسلسلة كأنها قطعة صماء من الحديد هي التي زحزحت المسلمين القهقرى .

خالد : أجلْ وفرسانهم يحمونها من حفافيها .

سعد : واهاً على القعقاع لو شهد !

خالد : الله أكبر ! ما هذه الأغوال السود قد مرقت من صفوف المسلمين إلى الميدان !

سعد : الله أكبر ! لم يمت القعقاع .. هذه أغواله السود .. هذه إبله المبرقعة بالسواد . هذه فيلة العرب !

خالد : أجفلت خيول العدو وولّت منهزمة لا تلوى على شيء . ارتطم بعضها فى الكتيبة المسلسلة ! انطلقت خيول المسلمين تطارد خيول العدو ! ارتد رستم إلى الوراء ... انهزم رجاله ...

أصوات المسلمين : (**تدوى كالرعد**) الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

سعد : مُر المسلمين أن لا يتعقّبوا العدو وراء المعبر .

خالد : (**بأعلى صوته لمن يليه من المبلغين**) أيها المسلمون قد أمر سعد أن لا تتعقبوا العدو وراء النهر !

سعد : انظر يا خالد . تلك الكتيبة المسلسلة تنهزم يطأ بعضها بعضا .

خالد : والمسلمون وراءهم يعملون السيوف فى ظهورهم .

سعد : لن يجوز المعبر منهم أحد .. ليبيدنّهم المسلمون دونه . (**يتنفس الصعداء**) الحمد لله ، قد نفّس الله عن المسلمين وهزم العدو إلى حين . يوم بيوم .

خالد : غدا يجيء هاشم بالمدد .

سعد : أجلْ إن شاء الله . غدا يكون الفصل !

(ستــــار)

الفصل الثانى

المنظر نفسه فى شرفة القصر . يظهر سعد بن أبى وقاص قاعداً على سريره وحوله المغيرة بن شعبة والقعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو وغلمان سعد الثلاثة .

القعقاع : لو تركتنا فجزنا المعبر فى إثر العدو لنكلنا به .

سعد : ويلك يا قعقاع ، إن المسلمين قد لقوا بأسا شديداً أمس واليوم ، ووجيّتْ خيولهم فلا بأس أن يستجموا إلى الغد . وغداً يجيء هاشم بالمدد إن شاء الله فيكون للمسلمين قوة .

عاصم بن عمرو : ليس لنا أن نغتر بارتداد العدو اليوم ، فغداً يعاودنا رستم بجموع أكثر عدداً ، وأكثر مددا .

القعقاع : إذاً يجدونا إن شاء الله كما يسرّ الله ورسوله ويسوءهم .

سعد : قد جاءنى اليوم رسول لأمير المؤمنين بأربعة أسياف وأربعة أفراس لأقسمها فيمن انتهى إليهم البلاء من أبطال المسلمين ، وأنتم أهل الرأى والمشورة ، فمن ترون أحق بها من سواهم ؟

(يسكت الثلاثة هنيهة)

المغيرة : **(للقعقاع وعاصم)** ما لكما لا تنطقان ؟ لعلكما

تخشيان أن لا تذكراني بين المستحقين . والله لو علمت أني أحدهم لطالبتُ بنصيبي من تكرمة عمر ؛ ولكني أرى أن تعطي هذه التكرمة لكما ولطليحة بن خويلد وحمال بن مالك والربيل ابن عمرو وعمرو بن معديكرب . وأضيفوا اثنين آخرين إليهم .

القعقاع : أين أنت من الأبطال اليربوعيين الثلاثة ؟ فوالله إنهم لأحق الناس .

سعد : إذاً يزيد عددهم واحداً ليس له شيء .

عاصم : فليكن نصيبي لعمرو بن معديكرب ، فإن أبا ثور يحب الزهو ، ويحتاج إلى التألف .

سعد : بارك الله فيك يا عاصم . ولكنكم نسيتم أيضاً فارس البلقاء فقد أبلى والله بلاء كبيراً .

القعقاع : أجلْ .. بيد أننا لا نعرف من هو .

عاصم : إنه ليشبه أبا محجن الثقفي .

سعد : صدقت .. وفرسه تشبه البلقاء فرسي ، ولكن أبا محجن في الحبس ، وفرسي في الإصطبل .

القعقاع : رأيت قوماً يحسبونه من الملائكة .

عاصم : وسمعت آخرين يتحدثون إنه الخضر عليه السلام .

سعد : فيم سكتَّ يا بن شعبة ... ما تقول أنت فيه ؟

المغيرة : أما أنا فإني والله لا أخدع . إنه أبو محجن الثقفي نفسه بلحمه ودمه ، والفرس فرسك يا سعد .

سعد : ولكنى قد بعثت الغلام يتفقده حينئذٍ فوجده نائما فى المحبس يغط .

المغيرة : هل بعثته أيضاً فتفقد الفرس فى الإصطبل ؟

سعد : لا والله لم يخطر هذا ببالى حينئذ .

المغيرة : لا بد أنه انطلق وأقام مكانه غيره وخَلَفَك على الفرس (**لأحد غلمان سعد**) هلم معى يا غلام إلى الإصطبل .

(**يخرج المغيرة بن شعبة يتقدمه الغلام**)

سعد : لقد شككنى المغيرة فى أمر هذا الفارس .

عاصم : مُعضلةٌ ليس لها إلا المغيرة داهية العرب .

القعقاع : لقد أعطِيَت القوس لباريها .

(**يعود المغيرة والغلام**)

المغيرة : وجدتها تنهج إعياء ، وترفضّ عرقا . فلا ريب أنه أخذها فركبها .

سعد : (**لاثنين من غلمانه**) انزلا فائتيانى بأبى محجن .

أحد الغلامين : أنحُلّ عنه قيده ؟

سعد : كلا ويلك .. ائتيانى به فى قيده ! (**يخرج الغلامان**) والله لئن يكن هو فارس البلقاء ، لأطلقنّ سراحه ولأكافئنّه !

عاصم : أكرم به فارساً لولا استهتاره .

المغيرة : ما ضرّكم لو تركتموه يقاتل مع المسلمين كما يشاء !

سعد : دعنى من هنيهاتك يا مغيرة ! ما كنت لأدعه يرى المسلمين يتحاضون على الجهاد فى سبيل الله ، فيتغنّى بينهم بأم الخبائث .

(يعود الغلامان بأبي محجن يرسف في قيوده)

أبو محجن : لعلك تريد أن تطلقني الآن يا سعد بعد أن انتهى القتال .

سعد : دعني من هذا ، ولكن قل لي فاصدقني : أبرحت المحبس وانطلقت بالبلقاء إلى الميدان ساعة الباس ؟

أبو محجن : أنى لي ذاك يا سعد ودوني المصراع الحديد وهذه القيود في يديّ ورجليّ ؟

عاصم : ولكنا رأينا فارساً يشبهك تمام الشبه يقاتل على البلقاء .

أبو محجن : أين يذهب بحلومكم يا قوم ؟ أنجدّون معي أم تهزلون ؟

القعقاع : بل أنت هو ، وقد رأيناك جميعاً فلا تحاول الإنكار .

أبو محجن : لعل الله شاء أن لا يحرمني ثواب القتال وقد نويته ، فأرسل ملكا على صورتي ليقاتل مكاني !

سعد : فما بال البلقاء وجدناها تنهج إعياء وترفضّ عرقاً ؟

أبو محجن : لا أدري ما بال الفرس ... سلوها من ركبها ؟ وبعد فما يضر أمير الجيش خروج فرسه للقتال ، وهو قاعد في القصر ؟ لقد نابت الفرس عن صاحبها في القتال ، وناب الملك عني !

سعد : ما أنت وذاك ويلك أئنك لتعيّرني بالقعود ؟

أبو محجن : لست أنا لذي عيّرك بالقعود يا سعد وإنما هو القائل :

نقاتل حتى أنزل الله نصره
وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة
ونسوة سعد ليس فيهم أيِّمُ !

سعد : شد ما لقيت من قومي ! والله لولا خشيتي على المسلمين لاستعفيت من إمرة الجيش . قبّح الله يوماً أعيّر فيه بالجبن . والذي نفس سعد بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل كما ود حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .

المغيرة : هوّن عليك يا سعد إن مثلك لعمري لا يجبّن ، وقد شهدت المشاهد كلها مع رسول الله ، وكنت من السابقين الأولين .

عاصم : وكنت أول من ذبّ عن رسول الله ، ووقاه بنفسه ، حتى فداك بأبيه وأمه ولم يجمعهما لأحد غيرك .

سعد : (**يرفع رأسه**) اللهم إن كان قائل هذين البيتين كاذباً ، أو قالهما رياء وسمعة ، فاقطع عني لسانه ويده .

أبو محجن : والله ما جنى على قائلهما أحد غيري إذ هجتك عليه يا سعد . إنك ــ ما علمت وعلم المسلمون ــ لمجاب الدعوة .

سعد : وإنك ــ ما علمت وعلم المسلمون ــ لسيء الأدب مستهتر . فقل لي من أطلقك وأعارك الفرس ؟

أبو محجن : والله ما أطلق رجليّ أحد وما أعارني الفرس أحد .

المغيرة : أجل .. أطلق هو رجليه بنفسه .. سل الموكل بالفرس يخبرك يا سعد .

سعد : (**لأحد غلمانه**) ائتني بميمون يا غلام .

(**يخرج الغلام ثم يعود بميمون**)

سعد : هلُمّ يا ميمون .. هل أعرت البلقاء لأحد ؟

ميمون : لا وعيشك ما أعرتها لأحد .

سعد : والله لتقولن الحق أو لأوجعنك ضربا (**يسكت الغلام**) خذ سوطى هذا فاجلد الغلام يا قعقاع .

(**يسمع صوت سلمى من خلف الباب**)

صوت سلمى : مهلا يا أمير الجيش .! لا ذنب للغلام . أنا التى أمرته بإطلاق أبى محجن بعد أن وثقت بعهده أن يعود بعد القتال إلى المحبس والقيد . وقد فعل والله وأوفى بعهده.

سعد : هيه يا أبا محجن .. أتكذبنى ويلك ؟

أبو محجن : لا والله ما كذبتك يا سعد وليس الكذب من شيمتى .

سعد : ألم تحلف لى بأن أحداً ما أطلقك أو أعارك الفرس ؟

أبو محجن : (**يشير إلى المغيرة**) سل هذا الداهية يجبك .

المغيرة : لقد صدق أبو محجن يا سعد . إنه إنما حلف لك أن أحداً لم يطلق رجليه ، فقد أطلق هو رجليه بنفسه ، بعد أن أطلق الغلام يديه .

سعد : (**يضحك**) ما رأيت أعجب منكما ماكرين ! .. والبلقاء ألم يعركها أحد ؟

أبو محجن : لا والله لا أكذب على زوجتك صاحبة الفضل عليّ فيما صنعتْ لله ما هى أهله . لقد سألت سلمى أن تأذن لى بالفرس فلم تفعل ، فسطوت على البلقاء غصباً . فإن أردت أن تعاقبنى على شىء ، فعاقبنى على أخذى الفرس دون إذن ذويها .

سعد : كلا والله لا أعاقبك . لقد أبى الله أن تقاتل خيول المسلمين وتبقى البلقاء مربوطة فى الإصطبل . خذها إليك يا أبا محجن مكافأة لك على حسن بلائك .

أبو محجن : ماذا أصنع بالبلقاء وأنا مقيد فى الحبس ؟

سعد : صدقت .. والله لا تعود إلى الحبس . أمط القيود عنه يا غلام .

(يحل الغلام القيود عن يديه ورجليه)

أبو محجن : شكراً لك يا بن أبي وقاص .. إنك لأمير كريم .

سعد : لا تشكرني واشكر صاحبة الفضل عليك سلمى بنت آل خصفة ! لا كنتُ ابن حرّة إن أغضبتها أو عتبت عليها بعد اليوم !

صوت سلمى : غفر الله لك يا سعد .. لئن كنت أغضبتني لأنا الجانية عليك الظالمة لك ، إذ لمتُك على قعودك عن القتال ، وأنت على حالك لا تستطيع الحركة أو النهوض .

سعد : يغفر الله لك يا سلمى .. هل نهض عندك عذرى الآن ؟

صوت سلمى : يشهد الله إنها لكلمة أرسلتها عن غير قصد مني . فهبها لي يا صاحب رسول الله ، فو الله ما اكتحلت عيني بنوم منذ قلتها .

سعد : لا عليك يا سلمى .. بل سامحيني أنت إذ لطمتك ، فقد ترين ما أنا فيه من الكرب وضيق العطن .

صوت سلمى : أجل .. شفاك الله وعافاك ! والله لئن كنت لطمتني لَبِيَدٍ بايعتْ يمين رسول الله وذبت عنه فهي شرف لي .

سعد : لا عدمتك يا سلمى .. بارك الله فيك .

أبو محجن : إى والله ، وشكر سعيك يا بنت آل خصفة . إنك والله لكريمة عند بعل كريم !

سعد : أحسنت إذ شكرتها فإنها لربّة الفضل عليك .

أبو محجن : لقد نسيت أمراً يا سعد .

سعد : وما هو ويحك ؟

أبو محجن : أن تقيم حدَّ الخمر عليّ .

سعد : هيهات يا أبا محجن ، هيهات أن أكون أكرم لك من ربىّ فأعفو عنك ولا يغفر الله لك عز وجل .

أبو محجن : ولكنها كفّارة لى أطهر بها من ذنبى .

سعد : إنى لأرجو أن قد غفر الله لك ، وكفر عن خطيئتك بما دفعت عن المسلمين اليوم . ولعل الله يتوب عليك فلا تعود لشربها أبداً .

أبو محجن : (**يترقرق الدمع فى عينيه**) أشهدك الله يا سعد وأشهدكم معشر الحاضرين أنى قد كنت أشربها إذ كان الحدُّ يقام علىّ وأُطهر منها ، فأمّا إذ أسقطه الأمير عنى فلا والله لا أشربها أبدا .

سعد : أمّا إنى لأعلم أنك امرؤ صدوق يا أبا محجن .

أبو محجن : ولكن .. تباً لي !

سعد : ماذا ويحك ؟

أبو محجن : أبياتٌ من الشعر أخذتْ تدب على لسانى ، لولا أنك تكره سماعها لقلتها .

سعد : قلها ولا حرج !

أبو محجن : إن كانت الخمر قد عزّتْ وقد مُنِعَتْ

وحال من دونها الإسلام والحَرَجُ

فقد أباكرها صِرْفاً ! وأمزجها

ريّاً ، وأطرب أحياناً وأمتزجُ

وقد تقوم على رأسى منعّمة

فيها إذا رفعتْ من صوتها غَنَجُ

ترفّع الصوت أحياناً وتخفضه

كما يطنّ ذباب الروضة الهَزِجُ

أستغفر الله من إثم نطقتُ به

تهفو به كبدى كرهاً وتختلج

سعد : لا حرج عليك إن شاء الله .

أبو محجن : ألا تدعو الله لى يا سعد فإنك لمجاب الدعوة .

سعد : (رافعا يديه) اللهم اغفر لعبدك أبي محجن وتب عليه . اللهم بغّضها إلى نفسه ، كما حبّبت إليه الجهاد فى سبيلك !

أبو محجن : فزت بدعوة سعد ورب الكعبة !

يا خمر ! لاحظّ لى فى ... تِبرِكِ أو فى لجَيْنِك

لقد صحبتُك حتى ... قضيت كامل دَيْنِك

وكنتِ قرّة عينى ... وكنتُ قرّة عينك

فودّعى اليوم ، هذا ... فراق بينى وبينك !

(ستار الختام)

فهرس

رقم الإيداع ٧٠٨١ - ٨٤
الترقيم الدولى ٧ - ٠١٣٠ - ١١ - ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه